نـــــور المسيـــح
يسوع المسيح الغـالب
ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

مجلة شهرية

Issue No: 141 عدد:
May 2019 شهر أيَّار

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

القديسة فوتيني
واولادها السبعة الشهداء

وَلكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ، وَهِيَ الآنَ، حِينَ السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّون
يَسْجُدُونَ لِـلآبِ بالرُّوحِ وَالْحَقِّ،
لأَنَّ الآبَ طَالِبٌ مِثْلَ هؤُلاَءِ السَّاجِدِينَ لَهُ.
اَللهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا

محتويات العدد

2	الربّ قد مَلَكَ على خشبة
3	كلمة غبطة البطريرك ك.ك. ثيوفيلوس الثالث
4	لا نريد القيامة
5	حياة النسك
6	قيامتنا مع المسيح
7	هوذا الربّ راكبٌ على سحابة
8	أحد توما – عظة للقديس لوقا
9	شفاء مخلّع بيت حسدا
11	-----
11	-----
12	لا تبكوا على الراقدين
15	اله ابراهيم واسحق ويعقوب
16	المسيح قاهر الجحيم ...
17	-----
18	من أقوال القديس مكاريوس
19	النّار والقِدر الفخار
20	ثامار أبّر منّي – القديس ...
21	------
22	-------
22	القديس نكتاريوس
23	الأرثوذكسية قانون إيمان
24	العظات الثماني عشرة عن المعمودية

توزّعُ هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩

تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:

12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

أنني بالتأكيد لا أثق في معلميكم (**اليهود**)، إذ لا يعترفون بصحة ترجمة الأسفار المقدسة التي قام بها السبعون شيخًا في بلاط **بطليموس ملك مصر** ، ويحاولون عمل ترجمة أخرى خاصة بهم. ويجب أن تعلموا أيضًا أنهم حذفوا أجزاء كبيرة من النسخة التي ترجمها هؤلاء الشيوخ الذين كانوا مع **بطليموس**، تلك الأجزاء التي تشير بوضوح إلى أن المصلوب هو إله وإنسان وإنه سيُصلب ويموت ...

في المزمور ٩٥ (٩٦) تم حذف عبارة «على خشبة» ففي حين أن النص يقول: «بين الأمم: الرب قد ملك **على خشبة**»، فقد كتبوا: «قولوا بين الأمم: الرب قد ملك».بدون «**على خشبة**».

والآن، لا يوجد أحد من شعبكم قَبِلَ إنه مَلَكَ كإلهٍ ومَلَكَ على الأمم سوى **المسيح المصلوب** الذي يشهد له **الروح القدس** في المزمور نفسه، أنه تحرَّر من الموت بقيامته. وهكذا أظهر أنه ليس مثل آلهة الأمم لأن «**آلهة الأمم أصنام شياطين**».

ولتوضيح هذه النقطة سأعيد على مسامعكم المزمور كله:

"سَبِّحُوا الرب تسبيحًا جديدًا، سبحي الرب يا كُلَّ الأرض، سبحوا الرب وباركوا اسمه. بشِّروا من يوم إلى يوم بخلاصه. حدِّثوا في الأمم بمجده وبين جميع الشعوب بعجائبه، لأن الرب عظيم ومُسَبَّح جدًا. مرهوب هو أكثر من كل الآلهة. لأن كل آلهة الأمم شياطين، أما الرب فصَنَعَ السماوات. الجلال والبهاء قُدَّامَهُ، الطُّهر والجمال العظيم في قُدْسِهِ. قدِّموا للرب، يا جميع قبائل الأمم، قدِّموا للرب مجدًا وكرامةً، قدِّموا للرب مجدًا لاسمه. احملوا الذبائح وادخلوا دياره، اسجدوا للرب في دياره المقدسة. فلتتزلزل الأرض كلها من أمام وجهه. قولوا بين الأمم إن الرب قد مَلَكَ على **خشبة**، وأيضاً ثبَّت المسكونة فلن تتزعزع. يُدين الشعوب بالاستقامة. فلتفرح السماوات ولتبتهج الأرض وليعج البحر وملئه، تفرح الوديان وكل ما فيها، حينئذ يبتهج كل شجر الغاب أمام وجه الرب لأنه يأتي، يأتي ليدين الأرض، يدين المسكونة بالعدل والشعوب بحقه."

– الله وحده يعلم ما إذا كان معلمونا اليهود قد حذفوا أجزاء من الكتاب المقدس كما تقول ام لا، لكن هذا القول يبدو غير معقول.

نعم يبدو بالفعل غير معقول، لأنه عملٌ يفوق في شناعته إقامة عجل الذهب الذي صنعوه وهم **متخمون بالمَنِّ الذي نزل على الأرض**، كما يفوق في بشاعته **تقديم أطفالهم ذبائح للشياطين** (تأثّر **اليهود بعبادة الأوثان في أرض كنعان**) **وذبح الأنبياء**. ويبدو أنك، لم تسمع حتى عن الكتب المقدسة التي قمتم ببترها كما قلت. ولكن تكفي النصوص الكثيرة التي ذكرتها لكم بالفعل، بالإضافة إلى تلك التي احتفظتم بها، لاثبات النقاط التي نختلف عليها.

– نحن نعلم أنك ذكرت لنا هذه النصوص بناء على طلبنا. أما مزمور داود الذي ذكرته للتو فيبدو أنه لا يشير سوى للآب الذي خلق السماوات والأرض. ولكنك تقول إنه يشير إلى ذلك الذي تأ لم والذي تريد أن تبرهن لنا أنه هو المسيح.

أرجوكم أن تفكروا مليًّا في كلمات الروح القدس في هذا المزمور وستفهمون أن حديثي ليس بدافع الخبث أو الخداع. وعندما تختلون بأنفسكم ستستوعبون أقوالًا أخرى قالها الروح القدس. يقول المزمور: «سبِّحوا الرب تسبيحًا جديدًا، سبحوا الرب يا كلَّ الأرض، سبحوا الرب وباركوا اسمه. بشِّروا من يوم إلى يوم بخلاصه. حدّثوا في الأمم بمجده وبين جميع الشعوب بعجائبه».

بهذه الكلمات يأمر الرب جميع سكان هذا الكون الذين يعرفون سر الخلاص– **الذي تم بآلام المسيح، الذي به نالوا الخلاص**– أن يرنموا ويسبِّحوا على الدوام لله الآب. وأن يعترفوا بأن السيد المسيح هو مَخُوفٌ ومسبَّح، وهو خالق السماوات والأرض وفادي البشرية، لأنه بعد ان مات على الصليب استحق أن يملك على العالم أجمع.

ملحوظة: عبارة "على خشبة" ليست موجودة في النص العبري، ولا في مخطوطات الترجمة السبعينية إلّا في مخطوطة واحدة، وموجودة في جميع مخطوطات الترجمة القبطية البحيرية.

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم
كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث
بمناسبة أحد السامريّة – (القديسة فوتيني)

«اليوم السماء والأرض تجذلان مبتهجتين لأن المسيح ظهرَ متجسدًا كإنسانٍ لكي ينقذ آدم، وكل ذريتهِ من اللعنة لما أقبَلَ إلى السامرة أظهرَ عجبًا من العجائب، لأن الذي يغشي السحاب بالمياه، وقفَ طالبًا ماءً من امرأةٍ. فلذلك يا جميع المؤمنين نسجد لمن آثَرَ بتحننهِ أن يتمسكن طوعًا من أجلنا.» هذا ما يصدحُ بهِ مرنم الكنيسة.

أيها الإخوة المحبوبون بالرب يسوع المسيح، أيها المسيحيون الزوار الأتقياء.

إن الروح القدس عنصر الحياة، روح ربنا يسوع المسيح، قد جمعنا اليوم في هذا المكان والموضع المقدس عند بئر يعقوب رئيس الآباء، لكي نحتفلَ من جهةٍ بعيدِ المرأة السامرية، ومن جهةٍ أخرى لحدث ظهور المسيح متجسدًا كإنسانٍ لكي ينقذ آدم (القديم) وكل ذريتهِ من اللعنة كما يقول المرنم.

حقاً إن ابن الله الذي «ظهر متجسدًا كإنسانٍ» عند بئر يعقوب وخاطب المرأة السامرية التي قالت للمسيح:«أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ مَسِيَّا، الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمَسِيحُ، يَأْتِي. فَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُخْبِرُنَا بِكُلِّ شَيْءٍ (يو ٤: ٢٥) فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَنَا(مَسِيَّا)الَّذِي أُكَلِّمُكِ هُوَ (يو ٤ :٢٦).

ويُفسِّرُ **القديس يوحنا الذهبي الفم قائلًا:**«لماذا اعترف المسيح امام المرأة السامرية بأنهُ المسيح؟ فيجيب القديس قائلًا: وذلك لأن المرأة كانت غَيْرَ منحازة وذات تفكير وضمير عادل ... وقد سمعت وآمنت ودعت آخرين أيضًا إلى الإيمان.»

وبكلامٍ آخر إن المرأة السامرية لم ترَ الربَ من قبل ولم تُعطَ لها الفرصة لتَسْمَعَ تعاليمهُ أو ترى عجائبهُ والتي لو كانت قد رأتها، فإنها كانت حتمًا ستقنعها بأن من يتكلم معها هو المسيح. وهذا يعني أن المسيح كان قريبًا جدًا من المرأة السامرية، عندما طلبت هي معرفتهُ كما يقول المرنم:«يا رب لقد منحت مياه معرفة قدرتك للسامرية الملتمسة، لذلك لم تعطش إلى الأبد مُسَبِّحةً عزَّتَك.»

إن «معرفة القدرة» أي قوة المسيح قد جعلت المرأة السامرية ليست مبشرةً ومعادلةً للرسل فقط، بل شهيدةً أيضًا للإيمان الحيِّ الحقيقيِّ. لهذا أدركت المرأة السامرية بأنهُ «هُوَ الْمَسِيحُ» (يو٤:٢٩) أي المَسِيَّا المنتظر، لهذا فقد أنار المسيحُ ذهنها وإدراكها لكي تفهم أن:«اَللهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا» (يو٤:٢٤).

وهذا يعني أن الله غير محصورٍ في مكانٍ أو زمانٍ وهذا لأنَّهُ روحٌ، فالروح القدس كالرِّيحِ تَهُبُّ حَيْثُ تَشَاءُ (يو ٣: ٧) لهذا فإن القديس بولس الرسول يوصي قائلًا:« لِذلِكَ وَنَحْنُ قَابِلُونَ مَلَكُوتًا لاَ يَتَزَعْزَعُ لِيَكُنْ عِنْدَنَا شُكْرٌ بِهِ نَخْدِمُ اللهَ خِدْمَةً مَرْضِيَّةً، بِخُشُوعٍ وَتَقْوَى .لأَنَّ «إِلهَنَا نَارٌ آكِلَةٌ.» (عبر١٢:٢٨) وهذا يعني بما أننا قد حصلنا من خلال إيماننا بالمسيح على الملكوت الذي لا يتزعزع أبدًا بل يبقى إلى الدهر، لهذا فإن الملكوت هو ذلك الذي أسَّسَهُ المسيح من خلال كنيسته، لذا فلنقدِّم لله خالِصَ الشكر.

فمن خلال العرفان والامتنان وهذا الشكر ، لِنَعْبُدِ الله عبادةً مرضيةً باحترامٍ وتقوى، عبادة مقرونة بالخوفِ والورعِ، لأن إلهنا نار آكلة يحرق ويبيدُ كلَّ إثمٍ وَدَنَسٍ.

لقد حصلت المرأة السامرية على هذا الملكوت الذي لا يتزعزع وهي الآن في السماء تقدِمُ لله عبادةً مرضيةً بورعٍ وتقوى، كما كانت تقدم له هنا على الأرض، لهذا فإن المرأة السامرية لم تؤمن بالمسيح فحسب، بل طلبت أيضًا أن تشربَ من ماء الحياة الروحيّ والذي قال عنهُ المسيح:«مَنْ يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أُعْطِيهِ أَنَا فَلَنْ يَعْطَشَ إِلَى الأَبَدِ، بَلِ الْمَاءُ الَّذِي أُعْطِيهِ يَصِيرُ فِيهِ يَنْبُوعَ مَاءٍ يَنْبَعُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ. (يو٤:١٤). إن هذا الماء المتحول ليس هو **إلَّا المعرفة الحقيقية والكاملة لله** والتي تَكْرِزُ وَتُبَشِّرُ بها دومًا كنيستنا المقدسة.

ويشيرُ القديس بولس، رسول الأمم، إلى غرور وكبرياء أولئك الذين يرفضون الإيمان بالإله الحقيقي قائلًا:« لَمْ يَسْتَحْسِنُوا أَنْ يُبْقُوا اللهَ فِي مَعْرِفَتِهِمْ، أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى ذِهْنٍ مَرْفُوضٍ لِيَفْعَلُوا مَا لاَ يَلِيقُ. مَمْلُوئِينَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ وَزِنًا وَشَرّ وَطَمَعٍ وَخُبْثٍ، مَشْحُونِينَ حَسَدًا وَقَتْلاً وَخِصَامًا وَمَكْرًا وَسُوءًا.» (رو١ :٢٨-٢٩)

وبكلام آخر إنَّ أولئك الذين رفضوا ولم يريدوا أن يحوزوا المعرفة الكاملة للإله الحقيقي، فقد تركهم الله (بحسب إرادتهم) وأُسْلِموا إلى ذهنٍ مريضٍ غير قادر أن يميز ما هو الحقيقي والقويم، فكانت النتيجة أن يصنعوا أعمالًا غير لائقة وغير أخلاقية.

أما نحن يا إخوتي الأحبة آكلي جسد ربنا يسوع المسيح وشاربي من جنبه الطاهر دمه الكريم مدعوون أن نسلك في حياة الروح القدس الجديدة، كما يوصينا مرتل الكنيسة: «لنطهّرَنَّ غوامض الأفكار ونضيئ مصابيح نفوسنا لنشاهد المسيح حياتنا كيف بادر إلى الهيكل بجسامة صلاحهِ.» لكي ما يفضح العدو ويخلّص جنسنا بآلامِه وصلبهِ وقيامتِه فَلْنَضْرَعْ إليهِ صارخين أيها الرب المحتجز إدراكهُ المجد لك.

إن كنيستنا الأرثوذكسية يا إخوتي الأحبة تعرض لنا قديسيها وبالأخص من نُعَيِّدُ لها اليوم القديسة «المرأة السامرية» والتي سُمِّيت من قِبَلِ المسيح (**فوتيني**) والتي تسربلت إكليل الشهادة جراء توبتها، وإيمانها وجهادها الروحي، وانتصارها في التجارب ضد الخطيئة على عهد **الإمبراطور الروماني نيرون** وقد شابهها وتمثل بفضائل القديسة فوتونيه، القديس الشهيد في الكهنة فيلومينوس الذي من أخوية القبر المقدس، الذي سار على خطى كرازتها وبشارتها الرسولية، لنور إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح القائم من بين الأموات الذي لا يعروه مساء.

مُمجدين أيها الإخوة الأحبة **المسيح إلهنا الذي ظهر إنسانًا متجسدًا من العذراء، والدة الإله الدائمة البتولية مريم** ومع المرتل نهتف قائلين: «أيها الربُّ بما أنك ينبوع الحياة لقد منحتَ ماءَ الصفح والحياة والمعرفة قديمًا للمرأة السامرية لمّا سألْتَك، فلذلك نقدم تسبيحًا لرأفتك التي لا تُوصَف.» آمين

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

المسيح قام، حقًّا قام.

لا نريد القيامة

سرجيوس ساكوس

نقلتها إلى العربية
مجموعة التراث الأرثوذكسي

يبدو القول بأنَّنا **لا نريد القيامة** قاسيًا ويهزّ المصداقية في عيون القراء المطمئنين. إذا كنتَ أعمى، ألَا تريد نظرك؟ إذا كنت مريضًا، ألَا تريد الشفاء؟ **وقيامة المسيح** هي بالضبط هذا: عيونٌ في ظلامِ عمانا، وصحةٌ في عذابِ مرض قابليتنا للموت، ومخرجُ إنقاذٍ من طريق العالم الحالي المسدود إلى عالم الأبدية المقدسة اللامتناهي، عبورنا **من الفساد** إلى **عدم الفساد**.

القيامة هي حدث لا يمكن دَحْضَهُ وليس مدعومًا بإيماننا وحسب، بل هو أساس إيماننا ودعمه. قبل ألفي عام، دخل شخص ربنا يسوع المسيح الإلهي – الإنساني في صراع مع الموت، وبدا كأنه خضع لمصير آدم القابل للموت: «مات ودفن». ولأنه لم يكن شخصًا عاديًا، لم يبقَ **يسوع المسيح في القبر** ولكن «قام ورأيناه». لقد **هزم الموت** وارتفع، وقف مستقيمًا وحيًّا، كما رأى كثيرون واعترفوا، وخلّص الجنس البشري من هيمنة الموت والخوف منه.

ومع هذا، فالناس لا **يريدون القيامة**. ليس الأمر بحاجة إلى كثير من التحقيق ولا يتطلّب الكثير من الدراسة لفهم أن المجتمع المعاصر، حتى ولو من المفتَرَض أنه مسيحي، لا يرحّب على الإطلاق بقيامة يسوع المسيح. القوا نظرة من حولكم وسوف ترون أن أناسًا كثيرين هم من أنصار المادية الأبيقورية (**مبدأ الانغماس باللذة**)، عقيدة «**كُلْ واشربْ وكُن سعيدًا لأنك غداً تموت**». إنهم لا يستطيعون أن يروا شيئًا أبعد من شاهِدِ القبر، لأنهم حبسوا ذواتهم في أشياء هذا العالم. لهذا السبب أصيب الشباب والكهول بالذعر عندما ضربت الأزمة الاقتصادية. إن خسارة الراحة والبحبوحة، أو انحسارهما، اللتين تمتعوا بهما بدت غير محمولة ولا تطاق، وعدم إشباع مشاعرهم ورغباتهم تَسَاوَى مع الحرمان من المتعة.

في مطلق الأحوال، إن القيامة، وهي حدث خارج التجربة الإنسانية، تعرّضت للهجوم من الناس منذ البداية. إنها حقًّا أمرٌ لا يُصدّق، ويتحدّى أسلوبَ تفكيرنا. أنَّ أول المشككين بالقيامة والأكثر تعنتًا في ذلك هم الذين يُتوقّع منهم أن يرحّبوا بها من دون تشكيك، أي تلاميذ الرب نفسه. ما رأوه واختبروه معه أقنعهم بأنه المسيح، لكنهم حصروه في وجهة نظرهم الدنيوية. لم يريدوا المسيا الذي تكلّم عنه الأنبياء، لم يكونوا على استعداد لقبوله ،كما قدّم نفسه متواضعًا ووديعًا. بحسب طريقة تفكيرهم، يجب أن يكون **المسيا فاتحًا عظيمًا، ملكًا قويًا بالكامل، حاكمًا للعالم لا يُقهر**. لقد كانوا فخورين به وأشادوا به عندما أطعم الحشود، وعندما أقام لعازر الميت. كيف يمكن أن يقبلوا أن المسيح قد مات وأُضجِع في القبر؟ لذلك عندما رأوه مسمرًا على الصليب ومن ثم موضوعًا في القبر، ميتًا تفرّقوا وخابوا. **أعداء يسوع** وحدهم بدأوا يقلقون من أنه سيقوم كما تنبأ، وسارعوا إلى إغلاق القبر ووضع الجنود لحراسته. ضدَّ مَن؟ ضد التلاميذ المذعورين واليائسين الذين قالوا: «كنا نرجو أنه هو مَن يفتدي إسرائيل؟» (لوقا ٢٤: ٢١). «كنا نرجو» أي في الماضي. ولكن الآن تلاشت آمالهم وانطفأت.

لكن **يسوع كسر أقفال الجحيم وقام**. الذي علّم الحقّ الذي يقدّس ويحرّر، الذي كشف سلطته الإلهية بالمعجزات والشفاءات وإحياء الموتى الذي قام به، أكّدها الآن بمعجزة المعجزات، أي **قيامته هو نفسه**. وعندما اقتنعوا بذلك من خلال ظهوراته المتعاقبة، أصبح التلاميذ الذين كانوا جبناء في وقت من الأوقات رسلًا، وَ كأسود ينفثون النار، بلّغوا إلى العالم شهادتهم الصحيحة بأن **المسيح قد قام**. هكذا انبثق نور الرجاء من القبر الفارغ من يسوع القائم. انفتح طريق جديد في حياتنا وسعادتنا الأبدية، نَطَؤُهُ بالتوبة والإيمان.

هذه هي بالضبط مشكلة الناس اليوم. إنهم لا يرفضون المسيح. إنهم معجبون بصلاحه ومحبته، وكل البركات التي أمطرها على الأرض. إنَّ **القيامة** هي التي تزعجهم. لو بقي يسوع ميتًا في القبر، لكان حافظ على تعاطف معظم الناس. إنه غير مرحّب به ويتعرض للهجوم اليوم بالتحدّيد لأنه **قام**، والنتيجة المباشرة لإعلان **قيامته** هي الطلب منا **التوبة ونبذ الأهواء**.

إن مسيحًا لم ينهض يمكن مماثلته بآلهة وثنية لا تُعدّ ولا تحصى، وهم لا يمنعون الأهواء وحسب بل يشجّعونها. ولكن ماذا عن **المسيح القائم** الذي أعلن: «كُنْتُ مَيْتًا، وَهَا أَنَا حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ!» (رؤيا ١: ١٨)؟ كيف يمكنك أن تتحمل معه **التأنيب على الآثام والحدّ من الشرور وتنظيم الحياة؟** هذا هو **سبب رفض الكثيرين للقيامة**.

حياة النُّسك في حياة الرهبنة عند القديس باسيليوس الكبير

❁ وَسُئِل القديس باسيليوس: هل نستعمل الطبّ والدواء الطبي؟ (تتمة)

✞ – والنباتات الطبية لم تُنْبَتْ إلّا بإرادة الله ولمنفعتنا، سواء كانت أعشابًا أو أوراقًا أو قشورًا أو ثمارًا أو جذورًا الخ ... فلا لوم علينا في استعمالها كلّها (كما أكّده الحكيم يشوع بن سيراخ).

✞ – أمَّا التنجيمُ والسِّحْرُ، اللذان يحتال بهما الناس على السُّذَّج للعلاج، فعلينا نحن المسيحيين أن نرفضهما.

✞ – ويجب أن نتكل على الله، وليست العقاقير هي السبب المُطلَق والوحيد للشفاء.

✞ – وقال الربّ أنّه لا يحتاج الأَصِحَّاءُ إلى طبيب بل المرضَى، واستخدم وسائل للشفاء، «وَتَفَلَ عَلَى الأَرْضِ وَصَنَعَ مِنَ التُّفْلِ طِينًا وَطَلَى بِالطِّينِ عَيْنَيِ الأَعْمَى. وَقَالَ لَهُ: «اذْهَبِ اغْتَسِلْ فِي بِرْكَةِ سِلْوَامَ» الَّذِي تَفْسِيرُهُ: مُرْسَلٌ، فَمَضَى وَاغْتَسَلَ وَأَتَى بَصِيرًا. (يو ٩: ٦–٧). ومرَّةً أُخرى شَفَى المرضى بإرادته الخاصة (مت ٨: ٣).

✞ – كما يجب أن يترك المريض الخطيئة، التي هي سبب أساسي للمرض الروحيّ والجسدي أيضًا.

✞ – وإذ كان كثيرون قد عانوا من المرض (المزمن) وظلُّوا يتعالجون زمانًا طويلًا، طالبين الشفاء والصحّة التّامة باجتهاد ويترجَّوْنَهَا، فلنأخذ منهم الدرس للنفس، وَلْنَجْتَهِدْ في طلب شفاء نفوسنا من خطايانا، بالتوبة والحياة النقيّة.

✞ – ويجب ألّا نرفض – أو نرذل الأدوية – لأنَّ البعض قد يستعملوها استعمالًا سَيِّئًا (كالمخدرات والكحوليات).

✞ – كما يجب أن نشكر الله على بَرَكَةِ الأَلم، ونبتهل إليه ليمنحنا الصَّبر والرَّاحة من متاعبها.

✞ – وقد يسمح الله بالأمراض، لكي يؤدّبنا على خطايانا، فيجب أن نتوب عنها، كما قال الربّ للمفلوج: «ها قد عوفيت فلا تعد تخطئ لئلا يصيبك أشر» (يو ٥: ١٤) .

✞ – وقد تحلّ الأمراض بالجسد، عندما يسمح الله للشيطان أن يحارب كبرياء إنسان، أو لإظهار فضائله، مثل أيّوب الصِّدِّيق. أو ليعطيه الربّ أجرًا على احتماله المرض في الأرض، كما حدث للعازَرَ المسكين (لو ١٦).

✞ – وقد يكون مرض القديسين لِيَقِيَهُمْ من الغرور، مثل الشَّوْكَةِ التي كانت في جسد بولس الرسول.

✞ – كما أنَّني أَرَى أنَّ الطِّب يفيد في النُّسكِ، لأنَّ العلاج الطبيّ قد يمنع الإنسان من أكل أطعمة كثيرة (لذيذة) ويُعَرِّفنا أنَّ الصحة في تناول القليل من الطعام (الطعام المتوازن) والشَّراب المناسب.

قيامتنا مع المسيح

القديس سمعان اللاهوتي الحديث

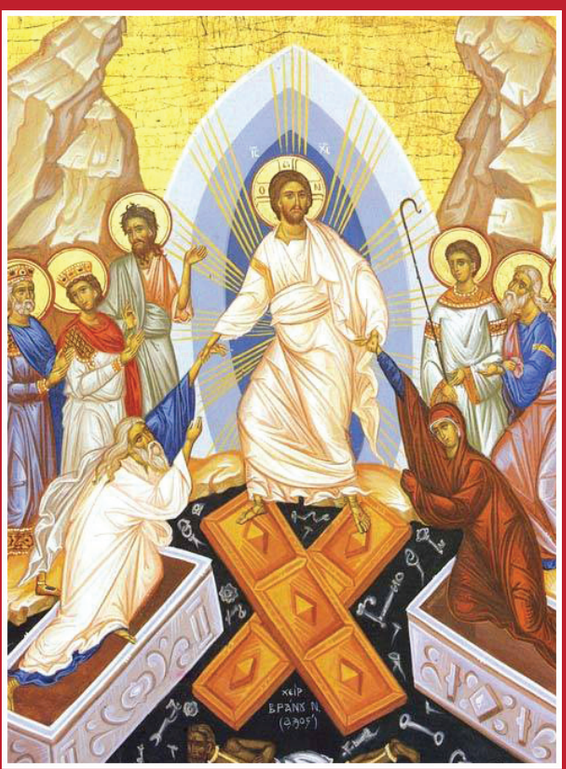

آبائي واخوتي،

الفصح قد أتى، هذا اليوم البهيج، المانح الفرح والسرور، يوم قيامة المسيح، الفصح العائد إلينا في كل سنة، بل بالأحرى الذي يتحقَّق كل يوم، وبشكل أبدي في النفوس العارفة سرَّه. لذا قد ملأ قلوبنا بالفرح والبهجة التي لا توصف. وأنهى في الوقت ذاته جهاد الصوم المقدس، بل بالأحرى قد أكمل نفوسنا وشجعها في آن واحد. وهكذا قد أتى الفصح داعيًا إيانا وكل المؤمنين معًا إلى الراحة والشكر.

فلنشكر إذا الربَّ الَّذي أهَّلنا لأن نجتاز بحر الصوم، وهدانا بفرح إلى ميناء قيامته. ليشكره كل من أكمل حلبة الصوم بجد ونشاط، بهمة وحرارة، وجهاد في سبيل اكتساب الفضيلة، وليشكره أيضًا كل من تقاعس بسبب الاهمال وضعف النفس. لأن الربّ يمنح أكاليل مضاعفة للمجاهدين الأشدَّاء، وأجرًا لائقًا بأعمالهم، ويُسامح المُتهاملين لأنه رحيم محبٌ للبشر. ينظر إلى قلوبنا واستعدادها، إلى النوايا، أكثر مما ينظر إلى الأتعاب الجسدية التي نبذُلها في سبيل الفضيلة، أَبَذَلْنَا جُهدًا كبيرًا بِعَزْمٍ كُلِّي أم قُمنا – بسبب ضعف الجسد – بِبَذلٍ أقلّ مما يقوم به المجاهدون الأقوياء. يوزّع الجوائز ومواهب الروح لكل واحد حسب النوايا وبتوافق. فإمَّا أن يُبرز أحد المجاهدين الأشداء ويمجده، او يَدَعهُ وضيعًا راجيًا منه نقاوة أكثر.

لِنرَ إن شئتم، ونتامل جيدًا ماهيَّة **سِرّ قِيامة المسيح إلهنا**، السرّ الذي يعمل فينا سِرِّيًا (مستيكيًا) في كل الأوقات، وكيف أن المسيح مدفون فينا كما في قبر، وكيف أنه يتحد بنفوسنا ويقوم ثانية، وينهضنا معه. هذا هو هدف حديثنا.

المسيح إلهنا عُلق على الصليب وَسَمَّر عليه **خطايا العالم**. لقد ذاق الموت ونزل إلى أسافل الجحيم. ولدى صعوده من الجحيم، اتَّحد بجسده الطاهر الذي لم ينفصل عنه أبدًا. وقام للحال من بين الأموات، ثم صعد إلى السماء بمجدٍ عظيم. هكذا نحن أيضًا الآن وقد خرجنا من العالم (**عالم الخطيئة**) ودخلنا إلى قبر التوبة والاتضاع على شبه آلام المسيح، هو ذاته ينزل من السماء ويدخل إلى جسدنا كما إلى قبر. وعند اتحاده بنفوسنا يقيمها، كونها مائتة بالحقيقة. ثم يمنح اولئك القائمين هكذا معه أن يروا مجد قيامته السرية (المستيكية).

قيامة المسيح هي إذن قيامتنا نحن الواقعين في الخطيئة. إذ أنه كيف يمكن أن يقوم ويتمجد ذاك الذي لم يسقط أبدًا في **خطيئة**، ولم ينفصل البتَّة عن مجده، الذي هو مُمجَّد على الدوام بصورة فائقة، الكائن «فوق كل رئاسة وسلطان» (أف ١: ٢١)؟

لذا، قيامة المسيح ومجده هما مجدنا، كما ذكرنا. فمن خلال قيامته فينا تتحقق القيامة في داخلنا، تُكشف لنا ونراها. فهو إذ اتخذ ما هو لنا، ينسب إلى ذاته ما يُتَمِّمه فينا. إن قيامة النفس هي اتحادها بالحياة. كما أن الجسد المائت إن لم يتقبل النفس الحية، ويتَّحد بها بدون امتزاج لا يُقال عنه إنه حيٌّ ولا يمكن له أن يحيا، هكذا فان النفس لا تستطيع أن تحيا وحدها إن لم تتحد بالله – الحياة الأبدية الحقّة – اتحادًا فائقًا لا اختلاط فيه. قبل هذا الاتحاد تكون النفس مائتة من جهة المعرفة والرؤيا والادراك، بالرغم من إنها عاقلة وخالدة بالطبيعة. ليس هناك معرفة بدون رؤية، ولا رؤية بدون معرفة. هذا ما أريد أن أقوله: الرؤيا تأتي أولًا، وبالرؤيا المعرفة والادراك. أقول ذلك بالنسبة للأمور الروحية لأنه في الأمور الجسدية هناك ادراك حتى بدون رؤيا. الأعمى عندما تصدم رجله حجرًا يشعر بالصدمة، أما المائت فلا. لكن بالنسبة للأمور الروحية، إن لم يرتفع العقل إلى التأمل (الرؤيا) في الأمور التي تتخطى الفكر، لا يُدرك أفعال النعمة السرية (المستيكية). فذلك الذي لم يصل إلى التأمل في الأمور الروحية، ويزعم أنه يدرك الأمور الفائقة على العقل والكلام والفكر، يشبه الأعمى الذي يشعرُ بما يحصل من خير أو شر لكنه يجهل ما هو بين يديه أو عند قدميه، حتى وإن كانا مسألة حياة أو موت بالنسبة له. ولكونه فاقدًا للقدرة على الرؤيا لا يستطيع ان يدرك الأمور الحسنة أو السيئة الآتية عليه. لذلك، وفي كثير من الأحيان، يرفع عصاه أمام العدو فيصيب بالأحرى صديقًا له، بينما يكون العدو واقفًا أمامه ومستهزئًا به.

كثيرون هم الذين يؤمنون بقيامة المسيح، لكن قليلون هم الذين عندهم رؤية واضحة لها. أولئك الذين ليس عندهم رؤية لا يستطيعون حتى أن يعبدوا يسوع المسيح قدوسًا وربًّا. لقد قيل: «لا

يستطيع أحد أن يقول أن يسوع هو الرب إلا بالروح القدس» (١ كو ١٢:٣)، وقيل أيضًا: «الله روح والذين يسجدون له ينبغي لهم أن يسجدوا بالروح والحق» (يو٤). إن الصيغة المقدسة التي نتلوها دائمًا لا تقول: «إذ قد آمنا بقيامة المسيح»، بل تقول: «إذ قد رأينا قيامة المسيح، فلنسجد للرب القدوس البريء من الخطأ وحده».

كيف يمكن للروح القدس أن يحثّنا على القول «إذ قد رأينا قيامة المسيح»، التي لم نرها، وكأننا رأيناها عندما قام المسيح قبل ألف سنة، (تاريخ كتابة العظة) بل حتى لحظة القيامة ذاتها لم يرها أحد؟

بالتأكيد الكتاب لا يريدنا أن نكذب! حاشا! على العكس هو يدعونا أن نقول الحقيقة، إذ أن قيامة المسيح تحصل فعلًا في نفس كل مؤمن على حدة، وذلك ليس مرة واحدة بل في كل ساعة عندما يقوم المسيح السيِّد فينا لابسًا الجلال (مز٩٣) وَمُشِعًّا بأشعة الألوهية وعدم الفساد. ذلك أن حضور الروح القدس المنير يكشفُ لنا قيامة المسيح كما في نور صباحي، أو بالأحرى يؤهلنا لرؤية المسيح نفسه قائمًا. لذلك نقول: «الرب هو الله وقد أنار لنا» (مز ١١٨)، ونشير إلى مجيئه الثاني ونقول: «مبارك الآتي باسم الرب» (مز ١١٨).

إن أولئك الذين أنارهم المسيح بفعل قيامته، يظهر لهم روحيًا، فيرونه بأعينهم الروحية. عندما يحدث ذلك فينا بنعمة الروح القدس يقيمنا من بين الأموات ويعطينا حياة. ويؤهلنا أن نراه، ذاك الذي هو عديم الموت والفناء. ليس هذا فحسب بل يمنحنا أيضًا معرفته، معرفة ذاك الذي أقامنا (أف ٢:٦) وَمَجَّدَنَا معه (رو٨:١٧)، كما يشهد على ذلك الكتاب المقدس بأسره.

هذه هي أسرار المسيحيين الإلهية، هذه هي قوة إيماننا الخفية، القوة التي لا يعرفها غير المؤمنين والمُشَكِّكُون وقليلو الإيمان، ولا يمكنهم أن يروها.

غير المؤمنين والمُشَكِّكُون وقليلو الإيمان هم الذين لا يُظهرون إيمانهم بأعمالهم. فإن **الشياطين** أيضًا تؤمن بدون أعمال وتعترف بأن المسيح السيد هو إله ورب. إذ تقول: «نعرفك من أنت قدوس الله»، وفي مكان آخر: «هؤلاء الناس هم عبيد الله العلي» (أع ١٦)، ولكن مثل هذا الايمان لا يفيد **الشياطين** ولا حتى البشر. لا فائدة لمثل هذا الإيمان كونه ميتًا حسب قول الرسول يعقوب أخي الربّ: «الإيمان بدون اعمال ميت» (يع ٢)، كذلك هو الحال مع الأعمال بدون إيمان. ولماذا هو ميت؟ لأنه لا يحتوي في داخله الله الذي يعطي الحياة، لأن ذلك الإنسان لم يُمسك بذاك الذي قال: «الذي يحبني يحفظ وصاياي وإليه نأتي أنا وأبي وعنده نصنع مسكنًا» (يو١٤)، حتى بحضوره يقيم المؤمن من بين الأموات ويحييه ويمنحه الرؤية – رؤية ذاك الذي قام فيه وأقامه.

لهذا السبب، مثل هذا الايمان ميِّت أو بالأحرى الذين لهم إيمان بدون أعمال هم أموات. لأن الإيمان بالله حي على الدوام ويُحيي الذين يأتون إليه بنية حسنة ويتقبلونه. لقد قاد الكثيرين من الموت إلى الحياة حتى قبل أن يتمِّموا وصايا الله، وكشف لهم المسيح الإله. ولو بقوا أمينين على الوصايا، مطبقين إياها حتى الموت، لحفظوا أنفسهم بواسطتها، وذلك بسبب إيمانهم الحيّ وحده. لكن نظرًا لأنهم انحرفوا «كقوس مخطئة» (مز٧٨)، عالقين في شبكة أعمالهم السالفة، اضاعوا للحال إيمانهم، وجردوا أنفسهم من المسيح الإله الجوهرة الحقيقية.

لنحفظ إذًا وصايا الله على قدر استطاعتنا حتى لا يحصل لنا مثلهم، ولكي نتمتع بالخيرات الحاضرة والمستقبلة، خاصة رؤية المسيح، التي نشتهيها كلنا بنعمة ربنا يسوع المسيح، الذي يليق به كل مجد إلى أبد الدهور، آمين.

القديس سمعان اللاهوتي الحديث

هوذا الربّ راكب على سحابة سريعة

"هوذا الربّ راكب على سحابة سريعة وقادمٌ إلى مصرَ
يأتي الربّ والمخلص إلى مصر حيث نسكن،
يأتي الربّ إلى أرض الظلمة حيث يوجد فرعون،
لكنه لا يأتي إلَّا راكبًا على سحابة سريعة،
ما هي هذه السحابة السريعة؟
أظن أنها القديسة مريم، مع طفل بدون زرع بشر.
جاءت هذه السحابة السريعة إلى العالم وأحضرت معها خالق العالم.
ماذا يقول إشعيا؟
يقول أن الربّ سوف يدخل إلى مصر على سحابة سريعة، فتتحطم أوثان مصر.
لقد جاء الربّ فارتجفت بشدة آلهة مصر الباطلة، وسقطت معًا وتحطمت.
هذه هي السحابة التي حطمت معبد سيرابيس في مدينة الإسكندرية،
لم يفعل هذا قائد حربي ولا إنسان مائت بل تممت ذلك هذه السحابة التي جاءت إلى الإسكندرية»

القديس جيروم _ عظة ٢٤ على المزامير

عظة في أحد توما

القديس لوقا رئيس أساقفة القرم

نقلتها الى العربية مجموعة التراث الأورثوذكسي

لقد كان صَعْبًا على الرسل، لا بل فائق الصعوبة، التصدِّيق بأن السيِّد يسوع المسيح قد قام. لقد اعتبروا كلام حاملات الطيب اللواتي جلبن الخبر لهم كَذِبًا. عندما ذهبوا إلى الجليل، إلى الجبل كما أمرهم يسوع، ورآه البعض سقط أرضًا وقدّم له العبادة، بينما وقف آخرون متسمّرين ولم يصدقوا عيونهم. عندما ظهر لهم يسوع وهم مجتمعون في العلية في أورشليم، ظنّوا أنهم يرون روحًا.

أقوى من كل شيء آخر كان عدم إيمان الرسول **توما** الذي طلب أن يضع أصبعه على الجراح التي من المسامير على يدي السيِّد ورجليه وأن يضع يده على جنبه قبل أن يؤمن. لماذا واجه الرسل هذه الصعوبة في الإيمان وقد رأوا بأعينهم؟ لقد رأوا المسيح يقيم ابن أرملة نايين وابنة يايروس وحتّى لعازر بعد موته بأربعة أيام.

في نهاية المطاف، هذه كانت أعمال صانع معجزات عظيم جدًا، والاموات لم يقوموا بقوتهم الذاتية. لكن الاعتقاد بإمكانية عودة جثة إلى الحياة بنفسها، بقوتها الذاتية، كان أكثر صعوبة بما لا يقاس. إذًا، كان من الصعب جدًا على رسل المسيح أن يؤمنوا حتّى بما رأوه بعيونهم. أمّا بالنسبة لنا نحن الذين لم نرَ لا يسوع الحي ولا يسوع القائم، **أهو أصعب أو أسهل تصديق ما نقرأه في الأناجيل وكتابات الرسل القديسين؟** بالطبع ، إنه أسهل، أسهل بكثير – لأن الكثير من الحقائق والأحداث التاريخية تقنعنا بما لا يحمل الشكّ بحقيقة قيامة المسيح.

ما الذي يمكن قوله عن الحقيقة أن وعظ الصيادين الجليليين الأميين وخلفائهم على مدى بضعة قرون، غلب كامل العالم المأهول في ذلك الوقت – ليس فقط اليونانيين المثقفين والرومان وحسب، بل حتّى الجرمان أنصاف الهمجيين، الغاليين، السلتيين، ووجّه ضربة قاتلة للوثنية؟ هل كان هذا ممكنًا لو لم **يَقُمْ المسيح؟** ألم يكُن الوعظ عن أن المصلوب هو ابن الله ليُقابَل في كل مكان بالسخرية؟ أكان من الممكن أن يُفْهَمَ كيف أن عشرات الآلاف من الشهداء ذهبوا إلى التعذيب المرعب والموت الفظيع، لو لم يؤمنوا بقيامة المسيح، ولم يشتعلوا بمحبة غالب الموت؟ أكان ممكنًا الجهاد النسكي بالصوم والصلاة الذي قام به النساك الذين لا يُحْصَون من أجل معرفة الربّ يسوع المسيح، واكتساب فكر السيد المسيح؟

ملايين فوق ملايين من الناس من كل الأعمار والأجناس كانوا مسيحيين حقيقيين، خاصةً خلال العصور الأربعة عشر الأولى لميلاد المسيح. ومع ذلك، بالرغم من قوة وعظ المسيح وأعماله، وبالرغم من موت ابن الله على الصليب وقيامته من الأموات هزتا العالم، لم يؤمن به الجميع. ها هو بين رُسل الرب يسوع المسيح ومعاصريه مَن لم يؤمن به، حتى **أغلبية الشعب اليهودي المختار من الله.**

عدم الإيمان، الذي تناثر كمثل موجة ضخمة فوق دولنا الحديثة في أوروبا وأمريكا، وجميعها كانت مسيحية في السابق، ينمو وينتشر. بالطبع لم يبدأ الأمر خلال عصر نهضة العلوم والفنون، وليس مع **فولتير والموسوعيين الآخرين**، بل في وقت سابق بما لا يقاس، بالفعل خلال القرن الأول لميلاد السيد المسيح.

ما معنى هذا؟ هذا يعني أنَّ ربنا وسيدنا يسوع المسيح لا يجذب قلوب الناس إلى نفسه بالقوّة، وهو أمرٌ قادرٌ على فِعْلِهِ بالطبع بقوّته الإلهية، بل هو يبحث عن المحبة والإيمان الطوعي. ليس كل قلب يقبل وصاياه العظيمة بفرح. **الناس الفخورون والمستبدون يضحكون** على وصايا فقر الروح والوداعة والرحمة. إنهم حتّى لا يفكرون في حقيقة الله الأبدية السامية، لا يريدون سوى أن يسمعو أن العلاقات الاجتماعية صائبة، ولا يعتبرون مثالًا أعلى إلَّا **العلاقات المضبوطة بين الأمم.**

أيرغب كثيرون في أن يُضطهَدوا من أجل البِرِّ، وأن يُعَيَّروا ويُطرَدوا من أجل المسيح؟ هل يدخل كثيرون عَبْرَ الأبواب المستقيمة على الطريق الضيق، ليتمكنوا في نهاية طريقهم الصعب من سماع النداء المبارك: «تعالوا ، يا مباركي أبي، رثوا الملك المُعَدّ لكم منذ كون العالم (متى ٢٥:٣٤)»؟ ماذا سيقول لك العالم إذا حاولت أن تبشره بالمسيح؟ بالطبع سوف يَرُدُّ بضيق: «**لا تزعجني، فأنا مشغول بعلمي، لأن بالنسبة لي كل الحقيقة موجودة فيه**». يتحدث الرسول بولس في رسالته إلى أهل كورنثوس عن الحكماء والمتبصّرين الذين رفضوا الإيمان بالله من أجل العلم: «فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللهِ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ:«سَأُبِيدُ حِكْمَةَ الْحُكَمَاءِ، وَأَرْفُضُ فَهْمَ الْفُهَمَاءِ». أَيْنَ الْحَكِيمُ؟ أَيْنَ الْكَاتِبُ؟ أَيْنَ مُبَاحِثُ هذَا الدَّهْرِ؟ أَلَمْ يُجَهِّلِ اللهُ حِكْمَةَ هذَا الْعَالَمِ؟ لأَنَّهُ إِذْ كَانَ الْعَالَمُ فِي حِكْمَةِ اللهِ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ بِالْحِكْمَةِ، اسْتَحْسَنَ اللهُ أَنْ يُخَلِّصَ الْمُؤْمِنِينَ بِجَهَالَةِ الْكِرَازَةِ. لأَنَّ الْيَهُودَ يَسْأَلُونَ آيَةً، وَالْيُونَانِيِّينَ يَطْلُبُونَ حِكْمَةً، وَلكِنَّنَا نَحْنُ نَكْرِزُ بِالْمَسِيحِ مَصْلُوبًا: لِلْيَهُودِ عَثْرَةً، وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةً! وَأَمَّا لِلْمَدْعُوِّينَ: يَهُودًا وَيُونَانِيِّينَ، فَبِالْمَسِيحِ قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ اللهِ. لأَنَّ جَهَالَةَ اللهِ أَحْكَمُ مِنَ النَّاسِ! وَضَعْفَ اللهِ أَقْوَى مِنَ النَّاسِ! فَانْظُرُوا دَعْوَتَكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، أَنْ لَيْسَ كَثِيرُونَ حُكَمَاءَ حَسَبَ الْجَسَدِ، لَيْسَ كَثِيرُونَ أَقْوِيَاءَ، لَيْسَ كَثِيرُونَ شُرَفَاءَ، بَلِ اخْتَارَ اللهُ جُهَّالَ الْعَالَمِ لِيُخْزِيَ الْحُكَمَاءَ. وَاخْتَارَ اللهُ ضُعَفَاءَ الْعَالَمِ لِيُخْزِيَ الأَقْوِيَاءَ. وَاخْتَارَ اللهُ أَدْنِيَاءَ الْعَالَمِ وَالْمُزْدَرَى وَغَيْرَ الْمَوْجُودِ لِيُبْطِلَ الْمَوْجُودَ» (١كور ١:١٨-٢٨).

حتى أثناء حياته الأرضية، دعا ربنا يسوع المسيح أولئك الذين يؤمنون به «القطيع الصغير». لا تقلقوا من هذا، بل افرحوا. وٱعلموا أن المنتمين إلى هذا القطيع على مرّ العصور، وإلى يومنا هذا هم عددٌ كبيرٌ جدًا من العلماء والباحثين والفلاسفة المهمّين، الذين استطاعوا الجمع بين إيمانهم بالعلوم، وإيمانهم السامي بالله ومسيحه. وأمّا الذين يرفضون الدِّين على أساس البيانات العلمية، فإن الغالبية العظمى منهم في الحقيقة لا علاقة لها بالعلوم وتحكي عنها كإشاعات. أما بالنسبة لكم، أيها الشعب البسيط غير المتعلم فدعوا كلمات المسيح تكون دعمًا قويًا: ما لم تتغيّروا وتصيروا كأصغر الأطفال، فلن تدخلوا ملكوت السماوات (متى ١٨:٣).

شفاء مخلع

بيت حسدا يوم السبت

«١وَبَعْدَ هذَا كَانَ عِيدٌ لِلْيَهُودِ، فَصَعِدَ يَسُوعُ إِلَى أُورُشَلِيمَ. ٢ وَفِي أُورُشَلِيمَ عِنْدَ بَابِ الضَّأْنِ بِرْكَةٌ يُقَالُ لَهَا بِالْعِبْرَانِيَّةِ «بَيْتُ حِسْدَا» لَهَا خَمْسَةُ أَرْوِقَةٍ. ٣ فِي هذِهِ كَانَ مُضْطَجِعاً جُمْهُورٌ كَثِيرٌ مِنْ مَرْضَى وَعُمْيٍ وَعُرْجٍ وَعُسْمٍ، يَتَوَقَّعُونَ تَحْرِيكَ الْمَاءِ. ٤ لأَنَّ مَلاَكاً كَانَ يَنْزِلُ أَحْيَاناً فِي الْبِرْكَةِ وَيُحَرِّكُ الْمَاءَ. فَمَنْ نَزَلَ أَوَّلاً بَعْدَ تَحْرِيكِ الْمَاءِ كَانَ يَبْرُأُ مِنْ أَيِّ مَرَضٍ اعْتَرَاهُ. ٥ وَكَانَ هُنَاكَ إِنْسَانٌ بِهِ مَرَضٌ مُنْذُ ثَمَانٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً. ٦ هذَا رَآهُ يَسُوعُ مُضْطَجِعاً، وَعَلِمَ أَنَّ لَهُ زَمَاناً كَثِيراً، فَقَالَ لَهُ: «أَتُرِيدُ أَنْ تَبْرَأَ؟» ٧ أَجَابَهُ الْمَرِيضُ:«يَا سَيِّدُ، لَيْسَ لِي إِنْسَانٌ يُلْقِينِي فِي الْبِرْكَةِ مَتَى تَحَرَّكَ الْمَاءُ. بَلْ بَيْنَمَا أَنَا آتٍ، يَنْزِلُ قُدَّامِي آخَرُ». ٨ قَالَ لَهُ يَسُوعُ:«قُمِ. احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ». ٩ فَحَالاً بَرِئَ الإِنْسَانُ وَحَمَلَ سَرِيرَهُ وَمَشَى. وَكَانَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ سَبْتٌ.

١٠ فَقَالَ الْيَهُودُ لِلَّذِي شُفِيَ:«إِنَّهُ سَبْتٌ! لاَ يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَحْمِلَ سَرِيرَكَ». ١١ أَجَابَهُمْ:«إِنَّ الَّذِي أَبْرَأَنِي هُوَ قَالَ لِي: احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ». ١٢ فَسَأَلُوهُ:«مَنْ هُوَ الإِنْسَانُ الَّذِي قَالَ لَكَ: احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ؟». ١٣ أَمَّا الَّذِي شُفِيَ فَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مَنْ هُوَ، لأَنَّ يَسُوعَ اعْتَزَلَ، إِذْ كَانَ فِي الْمَوْضِعِ جَمْعٌ. ١٤ بَعْدَ ذلِكَ وَجَدَهُ يَسُوعُ فِي الْهَيْكَلِ وَقَالَ لَهُ:«هَا أَنْتَ قَدْ بَرِئْتَ، فَلاَ تُخْطِئْ أَيْضاً، لِئَلاَّ يَكُونَ لَكَ أَشَرُّ». ١٥ فَمَضَى الإِنْسَانُ وَأَخْبَرَ إِلَيْهُودَ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الَّذِي أَبْرَأَهُ.»

الشرح:

خبر شفاء المخلّع، الذي نتلوه في الأحد الثالث بعد الفصح، لهو بامتياز، خبر الفصح بانعكاسه علينا. فاختيار الكنيسة النصوصَ الإنجيليّة، في الفترة الفصحيّة، إنّما هدفه أن تبيّن لنا مفاعيل **قيامة الربّ** فينا، أي قيامنا من كلّ خَلَعٍ وموت (أنظر رسالة اليوم (احد المخلّع): أعمال الرسل ٦: ١– ٧).

لن نتبسّط، هنا، في مواضيع إنجيل آحاد الفصح، بل سنحصر أنفسنا بما يحمله إلينا خبر شفاء المخلّع. وأوّل ما يجب تأكيده أنّ هذا الخبر، الذي قد يكون ظاهره بسيطًا، وصعوبته أنّه ينقل إلينا ما جرى من دون أن يتوسّع في تفاصيل، يترك لنا أن نكتشفها بين كلمات الخبر وسطوره.

تدور حادثة شفاء المخلّع قرب بركة يجتمع حولها مرضى كثيرون ينتظرون ملاكًا «كان ينزل أحيانًا في البركة، ويحرّك الماء، والذي ينزل، أوّلًا، بعد تحريك الماء، كان يبرأ من أيّ مرض اعتراه». فإلى هناك، جاء يسوع. واختار، من جملة المرضى، مخلّعًا (أو مفلوجًا). وبعد أن علم أنّ له زمانًا طويلًا في مكانه، طرح عليه سؤاله المثير: «أتريد أن تبرأ؟». فردّ عليه الرجل، وأخبره عن طول انتظاره، وأن «ليس له إنسان، متى حُرّك الماء، يلقيه في البركة». لنتوسّع قليلًا. رجل قرب بركة. وبالضرورة عيناه إلى مياهها التي يعتقد أنّ تحرّكها يشفي. يأتيه شخص غريب، ويطرح عليه سؤالًا، ويجيبه.

هذا المشهد بحدّ ذاته، يفترض أنّ الرجل لكونه ردّ على محدّثه، قد أهمل النظر إلى البركة. هل تركها لشعوره بأنّ نيّة محدّثه أن يرميه فيها؟ هل استجداه بردّه، ليفعل؟ النصّ لا يقول شيئًا من ذلك. فقط يردّد ما قاله الرجل من دون أيّ تعليق. وهذا يجعلنا نعتقد أنّ ثمّة أمرًا جديرًا بالاهتمام حرّكه، ليردّ على محدّثه. المعنى العامّ أنّ من أثاره هو شخص يسوع. ولكنّ النصّ سيخبرنا، لاحقًا، أنّ الرجل لم يعرف الربّ إلّا في النهاية. وهذا يجعلنا نعتقد أنّ ما أثار المخلّع هو أنّ شخصًا اقترب منه، وحدّثه. هكذا ببساطة. أجل، النصّ لا يقول ذلك أيضًا. ولكن لِمَ لا؟ قد نحسب أنّ هذا أمر بسيط، ولذلك نستبعده. ولكن أليس ما نستبعده، ولا سيّما في النصوص الإنجيليّة، هو أوّل ما يجب أن نتوقّف عنده؟ لا أحد يترك بركة تَسَمَّرَ قربها نحو أربعين سنة، لو لم يُثَر. القارئ يعرف أنّ الشخص، الذي أثاره بكلامه، هو يسوع. ولكنّ رجل الإنجيل لم يعرف. وهذا ما يجب أن نتوقّف عنده، ونرى أين نحن منه. في العادة لا يعنينا كثيرًا، أن نقارب مريضًا. قد نصلّي له ليشفى. وهذا مهمّ. ولكنّنا قلّما نفكّر في تخصيصه بزيارة وحديث وَدُودٍ! الدنيا تعجّ بمرضى مُهْمَلِينَ يتأفّف ذووهم منهم، أو يرمونهم شيوخًا، في بيوت للراحة من دون أن يعودوا يسألون عنهم! هنا الربّ يلفتنا إلى أنّ المريض قد يحتاج إلى رفيق أكثر من أيّ شيء آخر. قد يطلب كتفًا يرمي عليها همومه. وقد يحسب، في كثير من الأحيان، أنّ هذا شفاؤه! لا لم يكن الرجل يريد من الربّ أن يرميه في البركة. فهو لا بدّ من أنّه عرف أنّ هذه البركة قد تكون شفت كثيرين غيره. ولكنّ أحدًا من هؤلاء لم يدفعه شفاؤه إلى أن يلتفت إلى من كان في وضعه. ما أحسبُهُ أنّ الرجل قَبِلَ أن يردّ على سؤال يسوع، لشعوره بأنّه مُهملٌ إهمالًا كُليًّا. هل هذا يعني أنّ الرجل هكذا فجأة، خطر بباله أنّ هذه البركة، وإن كانت تشفي، لا تعيد للإنسان إنسانيّته؟ هل أنّه أحسّ أنّ مَنْ يكلّمه ليس كسائر الناس؟ لا شيء في النصّ يقول ذلك. لكن أيضًا: لِمَ لا! فهذا كلّه يبيّن أنّ الربّ هو، وحده، محور الخبر (أي البركة الحقيقية

والشخص المُنْقِذ). يبقى أنّ هذا الجزء من التلاوة ينتهي لصالح الرجل الذي شفاه الربّ بكلمة، أي بقوله له: «قم، احمل سريرك، وامش».

بعد هذا، حدث أمران. أوّلهما حوار المخلّع مع اليهود في السبت. وثانيهما لقاء يسوع به ثانيةً في الهيكل. لن نتوقّف، هنا، على موضوع السبت. فما يعنينا أنّ الرجل أجاب المعترضين على حمله سريره **في يومٍ تقدّسه الشريعة القديمة**: «أنّ الذي أبرأني هو قال لي: احمل سريرك، وامشِ». ويبيّن تعليق الإنجيليّ على الذين طالبوا الرجل بمعرفة هويّة مبرئه، «أمّا الذي شُفي، فلم يكن يعلم من هو». هنا، النصّ يقودنا إلى أمر آخر. فالرجل، الذي ترك البِرَكَة، وجد نفسه شاهدًا على ما حدث معه. وأمام مَنْ؟ أمام شعبه وأهل دينه الذين يحاسبونه على **تجاوز الشريعة!** البِرَكَة تنتقل. البِرَكَة، هذه المرّة، هي **شريعته القديمة**. فتخلّى عنها أيضًا. من الجرأة أن تتخلّى عن نفسك، عن تقاليد مجتمعك، عن أهلك متى أريد لك أن تبتعد عن الحقّ. إنّها مرارة أن تعود وحيدًا مهملًا. الرجل لا يعرف مَنْ شفاه. فينحاز إلى من لم يعرفه. يختار أن يبقى مُخلصًا لمن حدّثه وشفاه. ليست الشهادة غير هذا. إنّها أن تتعلّق بكلمة مَنْ قد تكون أنت المؤمن الوحيد بوجوده في محيطك، أو في الدنيا كلّها. الشهادة هي أن تقول خبرتك في عالم لا يخطّئك فحسب، بل قد يرفضك ويرفض إلهك أيضًا.

ثمّ تؤكّد التلاوة أنّ الربّ، «بعد ذلك، وجده في الهيكل»، وأوصاه بألّا يخطئ. هنا، جملة «وجده»، التي هي محور النصّ، إنّما تعني **أنّ الربّ** هو وحده، دنيا المهمَلين. فشأن المرء ألّا يرتضي الشفاء فحسب، بل **أن يؤمن بأنّ الربّ وَجَدَهُ**. هذه هي حقيقة الوجود التي لا يوازيها أمر في الوجود. فخرج الرجل إلى اليهود، «وأخبرهم أنّ يسوع هو الذي أبرأه». كيف عرفه؟ الإنجيليّ لا يقول سوى أنّ الربّ وجده، وقال له ما قال. هل هذه إشارة ضمنيّة إلى أنّ الربّ قائم في ما قاله؟ ليس من تفسير آخر. فأمانة الشاهد الدائمة، التي تجعله يحافظ على شفائه وتبعده عن الخطيئة، تفترض حفظ كلمة الله، والإخلاص لشخص الكلمة أو لاسمه. خرج إليهم، ليقول إنّ يسوع هو الذي أبرأه. يسوع هو وحده، موضوع الشهادة، واسمه كافٍ لتبيان صدقها.

لقد قال مفسّرون كثيرون إنّ هذا المخلّع هو كلّ واحد منّا. وهذا في الواقع، هو عصب نصّ خدمة العيد. فكيف نتذكّر، أنّ الربّ القائم يريدنا قائمين؟ كيف نؤمن بقدرته؟ كيف نريده؟ كيف نحدّث جميع المرضى الذين يعرفون أنّهم بحاجة إليه، أو لا يعرفون؟ كيف نشهد له في عالم معترض؟ كيف نُخْلص لكلمته؟ وكيف يهمّنا أن يظهر هو اسمُهُ، في كلّ ما نقول ونفعل؟ أسئلة، إن اقتدنا بهذا النصّ الإنجيليّ لنجيب عنها، قادرة على أن تعلّمنا كيف نبقى أحياء بإله حيّ يطلبنا دائمًا، لِنُوْجَدَ.

في بداية الآية الأولى من هذا المقطع الإنجيلي يُذكر أن يسوع صعد إلى أورشليم، وكان عيد، وقد أُسقط هذا الجزء من الآية في الفصل الإنجيلي. والأرجح أن هذا العيد هو العنصرة، وهو ذكرى إعطاء الناموس في سيناء. ولم يذكر يوحنا اسم العيد لكي يضع في الواجهة يوم السبت الذي فيه تمّ شفاء المخلع، وهذا ما يعترض عليه اليهود لاحقًا.

«وإن في أورشليم عند باب الغنم بركة تسمى بالعبرانية بيت حسدا لها خمسة أروقة»: يمكن أن تكون الأروقة الخمسة رمزًا للكتب الموسوية الخمسة، كتب الشريعة، وإعطاء الناموس على جبل سيناء. يعزّز هذا التفسير ذكر موسى والكتابات في يوحنا ٥: ٤١-٤٧. والمعنى في هذا الرمز هو أن الشريعة في الكتب الموسوية الخمسة لا تستطيع أن تعطي الحياة، وأن على إسرائيل انتظار شيء أفضل. في يوحنا ٥: ٤١-٤٧ أن يسوع في الكتب الخمسة الأولى من العهد القديم يشير إلى يسوع كمعطٍ للحياة. إذا صح هذا يصبح شفاء الأعمى عند بركة بيت حسدا، على ضوء الحديث الذي يلي هذا المقطع الإنجيلي، رمزًا لعطية الحياة الأبدية في يسوع.

وكان العلماء الآثاريّون إلى فترة قريبة يشكّكون بصحّة الأمكنة الوارد ذكرها في إنجيل يوحنّا، وتاليًا بصحّة إنجيل يوحنّا، متذرّعين بعدم وجود أثر لبركة بيت حسدا ذات «الأروقة الخمسة»، إلى أن تمّ اكتشافها حديثًا إلى الشمال من الهيكل، على بُعد ثلاثين مترًا من كنيسة القدّيسة حنّة، وبالقرب من باب القدس المعروف ب«باب ستّي مريم». وكان الاعتقاد السائد آنذاك أنّ هذه البركة كانت تمنح الشفاء لمَن ينزل فيها أوّلًا عند تحريك الماء.

يذكر النص أن تحريك الماء من قبل الملاك كان يأتي بالشفاء، والأرجح أن الكاتب يريد أن يؤكد أن الشفاء هو فعليًا من قبل الله الذي يرسل الملاك الذي يؤدي مهمته في تنفيذ كلمة الله. ها الرب يسوع يأمر بالشفاء مباشرة دون وساطة ملاك، وهذا يُظهر أن الله العامل من خلال الماء قد حضر ليعمل بكلمته مباشرة.

تجمهر المرضى حول الماء طالبين الشفاء. أما الرب يسوع فأتى بماء الحياة الأبدية «الذي يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية» (يوحنا ٤: ١٤-١٥). إذًا يحمل الرب يسوع على الدوام الماء الشافي الذي يعطي نتيجة فورية ونهائية. أما مياه أورشليم فهي عاجزة ما لم ينغمس الله فيها شاحنًا إياها بفعالية الشفاء.

«إنسان به مرض منذ ثمان وثلاثين سنة». ذكر المدة هو للتأكيد أن المرض قد استفحل وان الشفاء قد أصبح مستحيلًا. «أتريد أن تبرأ؟» كأني بالرب يسوع يمتحن رجاءه، فجواب المخلع يُظهر الإحباط الذي أصابه، فهو وإن سعى إلى الشفاء لن يناله لأن نعمة الشفاء لم تكن متوفرة لكل المرضى المجتمعين هناك، بل لمن يُرمَى أولًا في البركة. الشفاء الفوري وبلا واسطة حلّ بمجيء الرب يسوع لذلك قال للمخلّع: «قم احمل سريرك وامش». يأتيك الرب يسوع في عمق الإحباط وينتشلك مُقيمًا إيّاكَ كما **من موت** لتعتلن **فيك الحياة** كما اعتلنت في المخلع إذ حمل سريره ومشى أمام الجميع.

حفظ السبت مرتبط براحة الله في اليوم السابع أي بعد تمام الخلق. غالى اليهود بحفظه، وقد أتى في كتاب المشنا (أي كتاب تفسير الأسفار المقدسة) إن حمل السرير محرم يوم السبت. لكن رب السبت (مرقس ٢:٨٢) هو مَن أمر المخلع بأن يحمل السرير. أَمَرَ يسوع

بالشفاء فتم الأمر، أما شريعة السبت فعجزت، لذلك أجاب المخلع سائليه قائلًا «إنني بهذا العمل أمتثل لأمر الذي شفاني، وما من شريعة تعيق تنفيذ هذا الأمر».

كان اليهود يعتقدون بأنّ استراحة الله بعد الخلق كانت تقتصر على **عمله الذي عمله خالقًا فقط، الذي انتهى في اليوم السابع**: «وبارك الله اليوم السابع وقدّسه، لأنّه فيه استراح من كلّ عمله الذي عمله خالقًا» (تكوين ٢، ٣). ولكنّهم كانوا يؤمنون أيضًا بأنّ الله ما زال يعمل في كلّ زمان في إدارة الكون الذي خلقه وفي الحكم عليه. فالله لا يتوقف عن العمل إطلاقًا، حتّى ولا يوم السبت. من هنا نعي سبب غضب اليهود على يسوع حين قال إنّ الله ما يزال يعمل، وهو يعمل أيضًا. فهو ينسب إلى نفسه صفات إلهية، وما يبدو لدى اليهود كُفرًا ليس سوى الحقيقة الباهرة. ذلك أنّ يسوع هو ابن الله الذي أولاه الآب كلّ شيء، وبخاصّة أنّه هو الديّان الذي سيدين العالم، فيقول: «فكما أنّ الآب يقيم الموتى ويحييهم، فكذلك الابن يحيي مَن يشاء. لأنّ الآب لا يدين أحدًا، بل جعل الحكم كله للابن» (يوحنّا ٥، ٢١-٢٢).

«فسألوه: من هو الإنسان الذي قال لك احمل سريرك وامشِ؟». لا يسأل اليهود مَن هو الإنسان الذي شفاك، بل من قال لك أن تحمل سريرك. لا يأبهون للشفاء بل لكسر السبت. يريدون أن يعرفوا من دعا إلى العمل يوم السبت. قالوا للمخلع: «انه سبت فلا يحلّ لك أن تحمل السرير».

«فذهب ذلك الإنسان وأخبر اليهود أن يسوع هو الذي أبرأه»: كان اليهود، كما سبق القول، سألوا الرجل من الذي أمره بأن يحمل سريره مشدِّدين على **عدم احترام السبت**. يجيب المخلع على سؤالهم ولكنه يغيّر صوغه، فلم يقل إن يسوع هو الذي أمره بحمل سريره، بل قال: إن **يسوع** هو الذي شفاه. وفي ذلك تشديدٌ على الجانب الخلاصي في عمل يسوع، وعلى أن هذا الخلاص غير مرتبط بالسبت، أي بالناموس، على الإطلاق.

«ها قد عوفيت فلا تعد تخطئ لئلا يصيبك أشر». لا يريد الرب يسوع ان يؤكد ان هناك صلة بين الخطيئة والمرض وان المرض هو جزاء مباشر للخطيئة (يوحنا٩: ٣ و١١: ٤).يفترض هذا التصريح أن يسوع لم يشفِ المخلع من مرضه الجسدي فحسب بل غفر خطاياه أيضًا. يرمز هذا إلى أن **يسوع** يعطي الحياة الجديدة للذين ينتظرونه دون الناموس ويغفر لهم خطاياهم. إذ أنّ النعمة التي نالها مخلّع البركة، وقد جدّدت جسده إنّما تدعوه إلى الاهتداء بكلّيّته إلى الله. وإذا تجاهل ذلك يصاب بأكثر من علّته السابقة، إذ يعرّض نفسه للموت الروحيّ. فيسوع يطلب أوّلًا **توبة الإنسان** السليم الجسم والمعوّق معًا، فالملكوت مفتوح للاثنين، ولا فرق بينهما إلّا بمقدار ما يتميّزان به من طهارة القلب وسعي إلى القداسة. من هنا رأى بعض التقليد المسيحيّ في هذه المعجزة رمزًا لسرّ المعموديّة. وثمّة أكثر من شهادة تفيد أنّ سر المعموديّة كان يُمنح، أثناء العصور الأولى، في بركة بيت حسدا، تذكارًا لعمل يسوع.

أراد الرب يسوع أن يُظهر للمخلع انه يواجه مرحلة جديدة، فقد أتم الله له ما يعجز هو عن إتمامه أي الشفاء الخارجي، ودوره الآن هو ان يسلك حياة الاستقامة والبرّ والقداسة، وهذا يتحقّق بقرار داخلي منه، ولا يعجز عن اتخاذه إذا وضع رجاءه على الله، لكن إن عجز فقد نال منه الإحباط إلى النهاية، وسيصاب بأشرّ إذ يفقد الحياة الأبدية.

يعلّق **القدّيس أفرام السريانيّ** على قول **يسوع**: «أبي ما يزال يعمل وأنا أعمل أيضًا» فيقول: «لا تتلقّى الملائكة الأمر بالتوقّف عن العمل أيّام السبت، ولا السموات عن إنزال الندى والمطر، ولا الكواكب عن متابعة مسارها، ولا المزروعات عن إنضاج الثمار، ولا البشر عن التنفّس والتناسل. بل على العكس، فالنساء تلد أيّام السبت، وليس ثمّة وصيّة تحظر عليها ذلك. كما تعطّل ختانة الأولاد في اليوم الثامن شريعة السبت... فإذا كان لدى المخلوقات كلّها هذه الحرّيّة، فكم بالحريّ لخالقها؟ وهكذا ابن الإنسان هو ربّ السبت».

أمّا **القدّيس سمعان اللاهوتيّ الحديث** فيحثّ المؤمنين أيضًا، انطلاقًا من هذه الآية، على العمل الدائم من أجل الحصول على الحياة الأبديّة فيقول: «ينبغي لنا أن نعمل، نحن أيضًا، ليس فقط من أجل الطعام البائد، بل من أجل الطعام الممتدّ إلى حياة أبديّة».

نقلًا عن نشرة رعيتي بتصرف
الأحد ٢٢ أيار ١٩٩٤ / العدد ٢١
الأحد ١٤ أيار ٢٠٠٦ / العدد ٢٠
الأحد ٢٩ نيسان ٢٠٠٧ / العدد ١٧

«إن المسيح القائم يجعل الحياة كلها عيد مستمر، عيد بلا نهاية»

القديس أثناسيوس الكبير

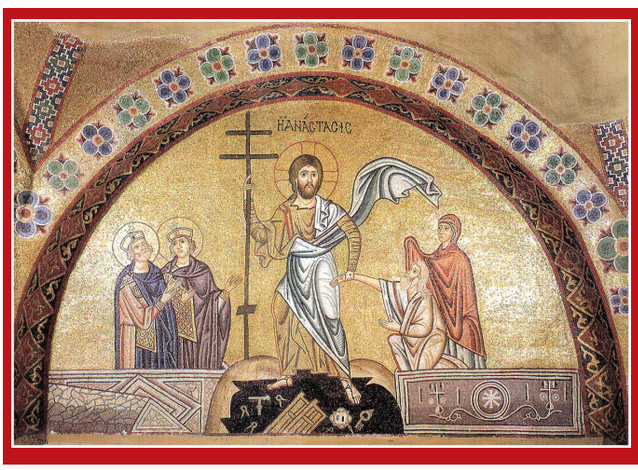

«وإن كنا نستدين أموالًا كثيرة من اجل ان نبنى بيوتًا منيرةً وجيدة التهوية، ونبذل مجهودًا كبيرًا من اجل هذا الامر، علينا إذن ان نفكر فيما يمكن ان نقدمة من أتعاب كي نبنى بيتًا روحيًا بهيًا فى ملكوت السموات»

القديس يوحنا ذهبى الفم

لا تبكوا على الراقدين

للقديس
يوحنا الذهبي الفم

لا تَبْكُوا على الراقدين
(عظة عن الموت) (الجزء الأوّل)
ساعة الموت، لماذا هي مجهولة بالنسبة لنا؟

يا أحبائي، إن عقلنا في شوقٍ دائم لمعرفة وفهم أمور كثيرة. وأول هذه الأُمور هو الوقت الذي ستحدث فيه **نهاية العالم**. ولكي يحدّ القديس بولس من هذا الفضول، يكتب في إحدى رسائله «وأمَّا الأزمنة والأوقات فلا حاجة لكم أيها الاخوة أن أكتب إليكم عنها» (١تس٥: ١). وأنا بدوري أتساءل، ما الذي نستفيده لو عرفنا متى سيحدث هذا الأمر؟ هل لكم أن تخبروني؟

دعونا نفترض أن مجيء الرب الثاني سوف يحدث بعد عشرين عامًا، أو ثلاثين أو مئة، أيةُ أهمية سوف تترتب على ذلك؟ ألَّا تأتي نهاية العالم لكل واحد منا بنهاية حياته الأرضية؟! (١)، لماذا إذن تُجهد فكرك متسائلًا في ضيقٍ: متى ستحدث النهاية العامة لجميعنا؟ فمثلما يحدث في ظروف أخرى . حيث نترك ما يخصنا وننشغل بشئون الآخرين، ونهتم بالأكثر بقضايا غريبة لا تهمنا . هكذا الأمر في موضوعنا هذا، فبدلًا من أن ينشغل كل واحدٍ منا بنهاية حياته هو، فإنه يريد أن يعلم بالتفصيل كيف ومتى ستأتي نهاية الكل؟

أمَّا إذا أردتم أن تعرفوا لماذا تظل نهاية حياة كل واحد منا مجهولة؟ ولماذا يأتي الموت فجأةً مثل اللص في منتصف الليل؟ فسوف أجيبكم عن ذلك بحسب ما أعتقد أنه صحيح.

أعتقد أنه لو عرِفَ كل واحد مِنَّا متى تنتهي حياته، فسوف لا يعتني أحدٌ بأن يسلك في أعمال الفضيلة أثناء حياته، فإذا عرف أحد اليوم الأخير لحياته، ففي هذه الحالة . يفعل شرورًا لا حصر لها ويتوب قبل نهايته بقليل، لكي يرحل من الحياة الحاضرة وهو مغفور الخطايا. أمَّا إذا كان الخوف من ساعة الموت المجهولة هو ما يدفع النفوس للتوجه معًا نحو الله، فمَن من أولئك سوف يهتم بالفضيلة . إن كانوا على يقين من الساعة التي سوف يموتون فيها ، طالما وضعوا في قرارة نفوسهم أن يتوبوا في اللحظات الأخيرة؟ فضلًا عن ذلك، لو عرف أحدٌ ، بالتأكيد ، إنه سيموت غدًا، فإنه لن يتردّد في أن يعمل كل ما يريد عمله قبل ذلك اليوم: يقتل، وينتقم من أعدائه، وبعد أن يجتهد في تحقيق رغباته، عندئذ سوف يقبل الموت.

بالإضافة إلى ذلك، فحتى أولئك الذين يظهرون سخاءً عمليًا عندما يواجهون أخطارًا مختلفة ببسالةٍ، فإنهم سوف لا ينالون المكافأة، طالما أن بسالتهم تكون نابعة من يقينهم أنهم يقتربون من ساعة موتهم. زد على ذلك، إنه حتى الجبان سوف يلقي بنفسه في التهلكة طالما أن لديه ضمانًا مؤكدًا بأنه لن يصبه ألم أو شرّ. أمَّا مَنْ يعتقد أنه من الممكن أن يفقد حياته عندما يتعرض لخطر من الأخطار، ويعرف أنه سوف يحفظ حياته إن لم يحدث هذا الخطر، وأنه يخاطر بحياته لو اجتاز فيه، فإنه يقدم بذلك دليلًا على استعداده هذا، كما أنه يظهر في الوقت نفسه استهانته بهذه الحياة الحاضرة.

أمّا الذي يمتلك حقيقةً تفكيرًا حكيمًا، ويوجه دفة حياته على رجاء الخيرات العتيدة، فإنه عندما يرى أمامه شخصًا مائتًا، فهو لن يعتبر الموت أنه موت حقًا (أي نهاية كل شئ)، ولن يحزن على مَنْ يموتون في ظروفٍ مشابهة؛ لأنه يفكر في الأكاليل التي يمنحها الله. وإذا كان الزارع لا يأسف ولا يتجهَّم إذا ما رأى القمح منتشرًا في حقله، هكذا أيضًا البار الذي ينجح في تحقيق مفاخر الفضيلة ويحيا يوميًا متطلعًا باشتياق إلى ملكوت الله، لن يُصَاب بالضيق مثل معظم البشر إذا ما أتاه الموت، ولن ينزعج أو يضطرب لأنه يعرف أن الموت بالنسبة لأولئك الذين عاشوا حياة الفضيلة، هو انتقالٌ ورحلة إلى مكان أفضل وحياة أرقى، وطريقٌ يقود إلى الأكاليل التي يمنحها الله.

إنَّ حادثة الموت ، بحدِّ ذاتها ، تُسبِّب اضطرابًا للإنسان كما أنها تُعرّفه . أكثر من أي شئ آخر . كم هو تافهٌ وضعيف. لأجل هذا السبب تُبنى القبور أمام المدن، وأمام الحقول. توجد القبور دائمًا أمام أعيننا من أجل تذكيرنا بضعفنا البشري باستمرار. فعندما يزور شخصٌ مدينةً فخمةً تفتخر بغناها وقادتها وبملكٍ يجلس على عرشه،

فإنه يري ما يوجد حقيقةً (**أي القبور التي تشير إلى حقيقة الموت**) قبل أن يرى ما كان يتوقعه وينتظره، وبهذه الطريقة، إذ نتعلم أولًا إلى أي شئ ننتهي، عندئذٍ نستطيع أن نرى الغنى الفائق.

وليس هذا فقط، فعندما يريد رجل أن يتخذ امرأةً زوجةً له، فإنه يخضع للقانون، فيلتزم بالمَهْرِ، ولكن قبل أن تتحقق وحدة الزوجين، بل قبل أن يرى الرجلُ المرأةَ التي سوف يتخذها زوجة له، يأتي ذكر الموت فيشتمل عقد الاتفاق على ترتيبات ما بعد الموت: ما الذي يحدث لو مات الزوج قبل الزوجة؟ ماذا لو ماتت المرأة قبل الرجل؟ ولا يقتصر الأمر على أولئك الذين يعيشون ثم يدركهم الموت، بل يتعداهم إلى الذين لم يُولدوا بعد، فيجب أن يُذكر في العقد ما الذي يترتب على موت الولد الذي سوف يولد. وهكذا نرى أن قرار الموت قد صدر قبل أن يتم الزواج وقبل ظهور ثمرته.

ولا شك أنه أمرٌ حسنٌ أن نثبّت تعهداتنا بشأن المَهْرِ وكافة الترتيبات الأُخرى المتعلقة بالزواج أمام مكاتب العقود، إلَّا أنه بالرغم من أن كل واحد فينا يعرف وَهَنَ الطبيعة البشرية، فإنه ينسى ذلك الذي كتبه والتزم به إذا ما عانى شيئًا مما يعانيه البشر، أو لو ماتت المرأة عندئذ ، وفي وسط الكارثة ، يتفوه بغير ما تعهد به، فيقول: هل لابد أن أُعاني مثل هذه الأمور؟ هل هذا هو ما انتظرته، أن يحدث لي ما حدث وأفقد زوجتي؟ ماذا تقول أيها الإنسان؟ عندما كنت بعيدًا عن هذه الأحداث عرفت جيدًا قوانين الطبيعة، أفعندما تُبتلى بمصيبةٍ تنسى؟ إذن عندما ترى واحدًا من أهلك يرحل عن هذا العالم، لا تستسلم للضيق، بل اهتم بنفسك وامتحن ضميرك، فكِّر أنه بعد قليل تنتظرك نفس النهاية.

لكن سيقول لي شخصٌ: إن من يموت سيفسد وسيصير ترابًا ورمادًا. نعم هذا هو ما يحدث بالضبط، لهذا ينبغي أن نفرح بالأكثر؛ لأنه عندما يشرع شخصٌ ما في إعادة بناء منزل قد تداعى وأصبح على وشك الانهيار، فمادام قد أخرج خارجًا سكان هذا المنزل أولًا، عندئذٍ يقدر أن ينقضه ويبنيه بناء أجمل. وهذا الأمر لا يسبب أي حزنٍ لأولئك الذين يخرجون خارج البيت، بل بالحري يسعدهم؛ لأنهم لا يعطون أهميةً لما يشاهدونه بأعينهم من هدمٍ، بل للبناء الذي سوف يقوم، وإن لم يروه بعد. نفس الأمر يفعله الله، عندما ينوي أن يُحلَّل جسدنا، يُخرِج مسبقًا النفس التي تسكن هذا الجسد، ومن ثم يقيمها مرةً أُخرى فيه بمجدٍ عظيم بعد أن يعيد بناء هذا البيت ثانيةً. ولأن الله عندما خلق آدم، خلق النفس والجسد معًا، فإن آدم لم يرَ أن الجسد قد خُلِقَ من تراب، بمعنى أن الله لم يخلق النفس قبل الجسد حتى لا ترى النفسُ خلقة الجسد، لذلك فإن النفس لا تعرف مدى تفاهة وضعف الجسد، لكن عندما يقوم الجسد في القيامة العامة، عندئذٍ تعرف النفس أنها قامت إذ تكون قد سبقت فلبست ملبسها الأرضي.

لأنه بالرغم من أن المائت لا يرى ذاته، إلَّا أنَّه سبق له عندما كان حيًا أن رأى من مات، وعرف أنَّ ذاك الذي مات تغيَّر إلى تراب، فإنه يرى هذه الأمور ويتعلم الكثير.

ألم يتصادف أن رأيت أُناسًا يبدون منتفخين وأنانيين، وبالرغم من ذلك تجدهم أمام رؤية الموت جبناء؟ إن قلوبهم ترتعد خوفًا مجرد ذكر **كلمة الموت**. ونحن أيضًا عندما نقف أمام القبور فإننا نتأمل آسفين، وكأننا صرنا حكماء . إلَّا أننا ننسى ما في طبيعتنا من ضعف ووهن مجرد مغادرة تلك الأماكن.

وعندما نتواجد أمام القبور، يقول كل واحد منا لقريبه (تقريبًا الآتي): بالحق كم نحن مساكين! كم هي تافهةٌ حياتنا! إلَّا أنه وعلى الرغم من هذا، وبدلًا من أن نفكر فيما سيؤول إليه مصيرنا بعد الموت، نعيش حياتنا **في غضب وسرقة وعدم الصفح للآخرين**، وكل واحد منا يكتفي بالتفلسف أمام حقيقة الموت، كما لو كان في تلك اللحظة يستنكر تمامًا ما حدث من شر بسبب خطايانا، وفي نفس الوقت نجده **يحارب الله بأعماله**.

موقفنا من موت أحبائنا

دعونا نأتي إلى موضوعنا. أخبرني، لأي سبب تبكي بحزنٍ شديدٍ على من مات؟ هل لأنه كان خاطئًا؟ لو كان كذلك، كان ينبغي أن تشكر الله؛ لأجل توقف ذلك الإنسان عن ارتكاب الخطية. أو هل تحزن لأن الإنسان الذي مات كان صالحًا وفاضلًا؟ وهنا أيضًا ينبغي أن تفرح؛ لأنه مات قبل أن تنجح الخطية في تغيير قصده ونيته (راجع حكمة سليمان٤: ١١) أم تحزن لأنه كان شابًا؟ وفي هذه الحالة أيضًا ينبغي أن تشكر الله وتمجده لأنه أخذه بالقرب منه، فهؤلاء يشبهون الذين دُعوا لكي ينالوا رتبةً، إن كثيرين منهم يُودَّعون بثناءٍ (٢)، فبنفس الطريقة ينبغي لنا أن نشيِّع بمزيد من الرضا أولئك الذين يرحلون عن هذا العالم، لا أن نحزن حُزنًا أكثر من اللازم. لأنَّنا لو اعتبرنا أن من مات هو إنسانٌ فانٍ بطبيعته، وأن الله هو الذي أخذه من هذه الحياة الحاضرة، فسوف نتعزى تمامًا. أمَّا إن كنا نسخط في هذه الحالات، فهذا معناه أننا نشبه مَنْ يحيا كما في برج عالٍ، وهو يجهل ما يناسب الطبيعة البشرية. لقد وُلدت إنسانًا، وبالتالي فأنت فانٍ، لماذا إذن تتألم طالما أن ما حدث هو أمرٌ طبيعيٌّ؟ هل يضايقك أن تتغذى عن طريق الأكل؟ هل تريد أن تحيا بدون غذاء؟ على هذا القياس ينبغي أن نتفهم حالة الموت. لا تطلب خلودًا (**على الأرض**) طالما أنت فانٍ، لأن هذا الأمر عُيِّن وقُنِّنَ بشكل نهائي. وعندما يدعو الله شخصًا ما إلى جواره، لا ينبغي أن نكون كالعبيد ناكري الجميل الذين يغتصبون ما لسادتهم، لأن الله يكون قد أخذ ما له، إذا أخذ منا مالًا أو كرامةً أو مجدًا، أو الجسد وحتى النفس. فلو أخذ الله ابنك منك إلى جواره، فهو لم يأخذ ابنك بل عبده الذي يملكه. إذن، فإن كنا لا نملك ذواتنا، فكيف ندَّعي ملكية ما هو لله. إن كانت نفسك ليست ملكك، فكيف تكون فضتك ملكك؟ وإذا لم تكن تملك شيئًا، فكيف تنفق ما ائتُمنت عليه؟ لا تقل إذن إنني أنفق ما أملكه، وأستمتع بمالي؛ لأنك لا تنفق ما يخصك ولا تستمتع بما هو لك لكن تنفق من أموال غيرك، إذ أن الله يريدك أن توزع ما أعطاه

بين يديك على الفقراء. فإذا أنت أنفقتها على هؤلاء عندئذ فإن ما ليس لك يصير ملكًا لك، أمَّا إذا أنفقتها لأجل ذاتك، فما تظن أنه ملكك يصير غريبًا عنك.

ألا ترى أن أجسادنا تخدمها الأيدي، وإن الفم يمضغ الطعام والمعدة تقبله؟ أفهل يحق للمعدة أن تحتفظ بالطعام لنفسها طالما هي تقبله؟ أَوَ يحق للعين – إذ تقبل النور – أن تحتفظ به لذاتها فلا تنير كل الجسد؟ هل يحق للأرجل – إذ هي فقط التي تمشي – أن تنتقل بمفردها من مكان إلى آخر دون باقي الجسد؟

إن أولئك الذين يمارسون مهنةً معينةً لو لم يقدم كل منهم الفائدة الناتجة من مهنته إلى الآخرين، فإن الضرر الناتج عن ذلك لن يقتصر على الآخرين، بل يشملهم هم أيضًا. ولو كان الفقراء على درجة عالية من الشرّ، فإذ تغلقون أحشاءكم عنهم، وتنكبُّون على الشراهة والغنى غير مفتكرين بأي أحد آخر، فإنكم سرعان ما تتحولون إلى فقراء.

ألم الوالدين بسبب موت ابنهم، وما الذي نتعلمه من قصة إبراهيم وإسحق:

قد يقول شخصٍ ما: لكنني قد فقدتُ ابني الوحيد الذي كنتُ أعتمد عليه كثيرًا، وعلَّقتُ عليه كل آمالي، إذ هو من كان سيرثني، ماذا عن هذا الأمر؟ أقول لك لا تتحسَّر، لكن مَجِّدِ الله واشكر ذاك الذي أخذه، ولا تكن أقل من **إبراهيم** إذ قدَّم ولده الوحيد إلى الله عندما أمره بذلك، هكذا أنتَ أيضًا لا تتحسَّر إذا أخذ الله ابنك. لأنك إذا شكرتَ الله عندما ترى ابنك ميتًا، فمكافأتك لن تكون أقل من إبراهيم الذي قاد ابنه بنفسه إلى الجبل وقدَّمه. ولو وجَّهت كل الناس إلى تمجيد الله بدلًا من النحيب والحزن، فستكافأ من الله والناس؛ لأنك سوف تنال إعجاب الناس، وفرح الملائكة، والإكليل من الله.

وربما يقول آخر أيضًا: وكيف لا أحزن وأنا منذ الآن سأحرم من كان يناديني «أبي»؟ ما هذا الذي تقوله؟ هل تعتقد أنك فقدت ابنك؟ كلَّا، بل احسبه مُلكًا لك وأنت مطمئنٌ تمامًا. إنك لم تفقد لقبك كأب، لكن بالحري الآن اكتسبت لقبًا يزيدك شرفًا؛ لأنك ستكون أبًا ليس لمخلوقٍ فانٍ، بل لكائنٍ خالدٍ. لا تظن أنك فقدت ابنك لأنه الآن بعيدٌ عنك، فلو أنه كان قد سافر إلى مكان بعيد، فعلاقة القرابة التي بينكما تظل موجودة، فهكذا حتى لو رأيت ابنك راقدًا، فلا تفكر فيه أنه ميت، بل هو كمَن طار وصعد إلى السماء. إذن عندما ترى عيونه مغلقةً وفمه صامتًا وجسده لا يتحرك، فلا تظن أن هذا الفم لن يتحدث بعد، وهذه العيون لن تنظر بعد، وهذه الأرجل لن تمشِي بعد، بل فلتتأمل مفكرًا في أن هذا الفم سيقول كلامًا أفضل، وهذه العيون سوف ترى أمورًا أعظم، وهذه الأرجل سوف تصعد إلى سحب السماء، وهذا الجسد الذي يتحلل الآن سوف يلبس الخلود، وسوف يمكنك أن تأخذ ابنك المُمَجَّد مرةً أخرى.

عظيمٌ هو البطريرك إبراهيم فإنّه لم ير فقط **اسحق**، بل أكثر من ذلك صدر له أمر أن يميته بنفسه، الأمر الذي يزيد في قسوته وحزنه عما لو كان رآه ميتًا. فإنه لم يتفوه بكلمة مضادة لوصية الله، ولم يسخط، ولم يقل: أيجعلني الله أبًا ليجعلني قاتلًا؟ كان من الأفضل ألا تعطيني – من البداية – ابنًا من أن تحرمني منه بهذه الطريقة، ما دمت قد أعطيتني إياه، فلماذا تريد أن تأخذه؟ لأي سبب تأمرني أن أذبحه وأنجِّس يديَّ؟ ألم تعطني وعدًا أن يملأ نسلي المسكونة بواسطته؟ إذن كيف تعدني بالثمار بينما تقتلع الشجرة؟ من رأى مثل هذا، ومن سمِع بهذه الأمور؟ ولكن إبراهيم لم يتفوَّه بشيءٍ مثل هذا، إطلاقًا لم يفكر مثل هذا التفكير، لم يكن لديه حتى رد فعل على ذاك الذي أَمَرَه، لم يطلب مبررات، لكن بمجرد أن سَمِع «خُذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحق وقدِّمه ذبيحةً لي فوق الجبل الذي أُريك إياه» (تك٢٢:٢)، فإنه تمَّم هذا الأمر على أكمل وجه حتى أنه فعل أكثر مما أُمِر به، لأنه أخفى الأمر عن امرأته، بل وخدع عبيده إذ تركهم ينتظرون أسفل الجبل.

إذن تأمل وفكِّر بمقدار المرارة الذي كان لإبراهيم عندما تحدث مع ابنه بمفرده وبدون وجود أحد آخر، إذ توهجت مشاعره ومحبته تجاه ولده، ولكنها صارت أقوى. ما الذي يمكن قوله، ويعبِّر بدقة عما كان يعتمل في نفسه؟ لقد قاد ولده إلى الجبل، قيَّده ووضعه على المذبح، واستل سكينًا مستعدًا لذبحه. كيف، وبأية طريقةٍ أستطيع أن أصف الأسى الذي كان يغمر نفسه؟ أنا لستُ في مكانه حتى يمكنني أن أخبركم عن ذلك، لكن – فقط – ذاك الذي أوصل الأمور إلى هذا الحدّ يمكنه أن يعرف ما يختلج في نفس إبراهيم، لأن الكلام البشري يقصر عن أن يعرض الأمور على وجهها الحقيقي. كيف ظلت يد الأب ثابتة؟ كيف لم تنحل قوة أعصابه؟ كيف لم يضطرب أثناء مواجهة ولده المحبوب؟

هل رأى أحدٌ أبًا يصير هو نفسه الكاهن المتأهب لتقديم الذبيحة؟ لقد كان تقديم إسحق ذبيحةً بدون سفك دم، ومحرقةً بدون نار؛ لأنَّ ابرام ذبح ابنه ولم يذبحه. لم يذبحه بيديه، لكن قَدَّمه باستعداده وذَبَحَه بنيته، وذلك لكي – بهذا المثال – يُعلِّم الذين يأتون بعده أن وصايا الله ينبغي أن تُراعى أكثر من الأبناء، وأكثر من الطبيعة (الغريزة الطبيعية)، ومن كل الكائنات، ومن حياتنا نفسها.

---

(١) يقصد القديس يوحنا أنه ليس بالضرورة أن يكون كل الناس أحياء عند حدوث القيامة العامة، فقد يموت الكثيرون قبل حدوثها.

(٢) يقصد الذهبي الفم أن الذين ينالون رُتبًا سامية في وظائفهم يُوَّدعون بثناء عندما يتقاعدون من مناصبهم.

«لأنه إذا كانت لنا الحياة هي المسيح، ينبغي إذًا أنَّ حديثنا يكون حول شخص المسيح، وكل فكر وعمل صادر منّا يكون معتمدًا على وصاياه، وأن تَتَشَكَّل نفوسنا على صورته»

القديس باسيليوس الكبير

إله إبراهيم وإسحق ويعقوب

القديس يوحنا الذهبي الفم

«إيمان إبراهيم لما دُعي أطاع ... بالإيمان تغرب في إرض الموعد .. لأنه كان ينتظر المدينة التي لها الأساسات التي صانعها وبارئها الله ... في الإيمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعيد، بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيّوها، وأقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض ... لذلك لا يستحي بهم الله أن يُدعى إلههم لأنه أعد لهم مدينة» (عب ١١)

كان القديسون غرباء ونزلاء .. كما قال داود «أنا غريب عندك ونزيل مثل آبائي» (مز٣٩). لأن أولئك الذين عاشوا في خيام، والذين أشتروا القبور بالمال، من الواضح أنهم كانوا غرباء إلى حد أنهم لم يكن لديهم ولا حتى مكانًا يدفنون فيه موتاهم. تُرى هل كانوا يقصدون أنهم غرباء عن تلك الأرض التي كانت في فلسطين فقط؟ بالطبع لا، إنهم كانوا غُرباء نزلاء في العالم بأسره. ولم يروا فيه ما كانوا يتوقون إليه، فكل شيء كان غريبًا عندهم. لقد أرادوا حقًا أن يمارسوا الفضيلة، ولكن الشر في العالم كان متفاقمًا، وكانوا غرباء عنه. لم يكن لهم صديق حميم، ولا أهل بيت إلَّا القليل القليل.

وكيف كانوا غرباء؟ لقد سلكوا كغرباء لم ينشغلوا بالأمور الأرضية، وقد أظهروا هذا لا بالكلام بل بالأعمال. كيف وبأية طريقة؟ قال **الله لإبراهيم**: «أذهب من أرضك .. إلى الأرض التي أريك»، ولم يتراجع بسبب أقربائه، بل كما لو كان ينوي أن يترك بلدًا غريبًا عنه، وبكل هذه السهولة ترك أرضه. قال له الله أيضًا: «خذ آبنك وحيدك .. وأصعده محرقة»، فقدَّمه بكل هذه السهولة، كما لو كان ليس لديه ابنٌ، قدَّمه كما لو كان مُجردًا من الطبيعة الأبوية. كل ما له كان مشتركًا مع العابرين من هناك، وهذا الأمر يفعله كما وكأنه لم يفعل شيئًا. المكانة الأولى كان يتنازل عنها للآخرين، أما نفسه فقد رماها في الأخطار، وعانى من مصائب كثيرة، لم يَبْنِ بيوتًا فخمة، ولم يعش في رفاهية، ولم يهتم بالملبس، ولا بأي شيء آخر من تلك الأمور المتعلقة بهذه الحياة، لكنه آهتم بكل ما يتعلق بتلك المدينة السماوية. كان مُحبًّا للغرباء ومِضْيافًا، مُحبًّا للأخوة، مُحسنًا، مُتسامحًا، إزدرى بالمال وبمجد هذه الحياة الحاضرة، وكل الأشياء الأخرى ...

لقد تنهد الرسول بولس قائلًا «فأننا نحن الذين في الخيمة (**خيمة الجسد**) نئن مُثقلين». هكذا كان أولئك الذين عاشوا في زمن إبراهيم لأنه يقول: «أقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض .. يطلبون وطنًا». إذًا ما هو هذا الوطن؟ هل هو ذلك الوطن الذي هجروه؟ بالطبع لا، لأنه ماذا كان يعوقهم لو أنهم أرادوا أن يعودوا إليه مرة أخرى، وأن يصيروا مواطنين في هذا الوطن، لقد طلبوا الوطن الذي في السموات. تاقوا إلى الرحيل، وهكذا أرضوا الله.

«لذلك لايستحي بهم الله أن يُدعى إلههم»

يا للعجب ! يا لها من كرامة عظيمة !

لقد قَبِل الله أن يُدعى إلههم.

ماذا تقول؟ مع أنه يُدعى إله الأرض والسماء، إلَّا أنه لا يستحي بأن يُدْعَى إلههم.

ما أعظم ذلك !! أنه دليل على تطويب وغبطة فائقة.

كيف؟ أنه يُدعى إله السماء والأرض، كما يُدعى إله اليونانيين، ويُدعى إله السماء والأرض لأنه هو الذي صنعهما وخلقهما. لكن بالنسبة لأولئك القديسين فهو لم يُدعَ فقط إلههم بل دُعي كمحب وصديق وفيّ.

وسأضرب لك مثلًا لأُوَضِّح ما أريد. الخُدّام في قصور أسيادهم، يُكرمهم ويعتني بهم أهل البيت، وتكون لهم دالة عظيمة على سيدهم، ويدعى سيدهم باسمهم.

ماذا أقول؟ فكما أنه من الممكن أن يُدعى الله، ليس إله الأمم بل إله الكون كله، هكذا دُعي «إله إبراهيم». لكن ألَا تعلمون كم هو عظيم هذا المقام، لأنَّنا لا نناله صدفة. تمامًا كما هو الآن أيضًا، فالرَّب يُدعى إله كل المسيحيين، إلَّا أنه الاسم يتجاوز أهليتنا ويفوق قيمتنا نحن.

أنظر ما اعظم أن يدعى الله باسم شخص واحد. فإله العالم كله لا يستحي من أن يُدعى إلهًا لثلاثة أشخاص. فالقديسون هم بموازاة العالم، كل العالم، بألوفه المؤلفة في كل أصقاع الأرض. إذ أن «ولد واحد يتقي الرب خير من ألف منافقين» (سي ١٦:٣) ...

إذًا فَلْنَصِرْ نحن أيضًا الآن غرباء، لكي لا يستحي الله أن يُدعى إلهنا. هي إهانة لله أن يُدعى إلهَ أُناسٍ أشرار ويستحي بهم، تمامًا مثلما يتمجد عندما يكون إله أناس صالحين وأبرار وسالكين بالفضيلة، لأنه إن كنا نحن لا نريد أن نُدعى سادة لعبيدنا الأشرار، ونستغنى عنهم، وإن آقترب منّا أحد وقال لنا، هذا الذي يصنع شرورًا كثيرة، هل هو عبدٌ لك، نقول على الفور، لا لكي نتجنب الخجل، بالأكثر جدًا هذا يسري على الله. لكن القديسون كانوا في بهاءٍ شديد، وكانوا مملوئين بالجرأة والسخاء، حتى أنه لا يستحي أن يُدعى فقط إلههم، بل هو ذاته لا يستحي أن يقول (كما قال لموسى): «أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب» (خر ٣). فلنصر أيها الأحباء غرباء، حتى لا يستحي الله بنا، ويسلمنا لجهنم.

المسيح
قاهر الجحيم

اكتشاف «مخطوطة باللغة اليونانية القديمة كُتِبَت سنة ١٤٠م في آسيا الصغرى»

«نزل إلى الجحيم من قِبَل الصليب» (القدّاس الإلهي).

نزول المسيح إلى الجحيم، في الأناجيل والرسائل:

إنَّ نزول المسيح إلى الجحيم، بالرغم من أنه لم يُذكَر في كل الأناجيل الأربعة، إلاَّ أنه ذُكِرَ – بطريقة غير مباشرة – في إنجيل متى في سياق سَرْدِهِ لأحداث الصليب هكذا: «والقبور تفتَّحتْ، وقام كثيرٌ من أجساد القدِّيسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامته، ودخلوا المدينة المُقدَّسة، وظهروا لكثيرين» (مت ٢٧: ٥٢،٥٣). هذه الكلمات التي كتبها القديس متى الإنجيلي تُعبِّر عن «الإيمان الفِصْحِيِّ» بقيامة الأموات منذ العصر الأول للمسيحية، والذي يُعبِّر عنه أيضًا البند الذي ورد في قانون الإيمان: «واترجَّى قيامة الأموات». وهذا هو الأساس للتعليم بقيامة أبرار العهد القديم من الموت على يد المسيح بعد موته على الصليب، ونزوله بنفسه البشرية إلى الجحيم، مثل كل قِدِّيسِي وأبرار العهد القديم.

والمسيح ذَكَرَ في نفس الإنجيل عن الأيام الثلاثة التي سيقضيها «في قلب الأرض»، أي في **الجحيم** الذي كان الاعتقاد أنه موجود في عمق الأرض: «لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ» (مت ١٢: ٤٠). وقصة يونان في بطن الحوت تُعتَبَر في التقليد المسيحي تَنبُّؤًا لنزول المسيح إلى الجحيم (في قلب الأرض). وهناك بعض النصوص في العهد القديم تُعتَبَر بمثابة نبوءةٍ لنزول «مسيَّا» (المسيح) المنتَظَر إلى الجحيم، مثل سِفْر أيوب في الترجمة السبعينية (١٧:٣٨): «وتنفتح أبواب الموت لك عن خوفٍ، وبَوابُو الجحيم يرتعدون عند رؤيتك». وكذلك في نبوءة هوشع (١٣: ١٤): «أفتديهم من يد الهاوية، وأُنجِّيهم من الموت. أين هلاكك يا موت؟ أين دَمَارُكِ أيتها الهاوية؟» (الترجمة الحديثة).

✝ وقد عُبِّر عن هذا الاعتقاد بنزول المسيح إلى الجحيم بعد موته على الصليب، بما وَرَدَ في سِفْر أعمال الرسل، في حديث **القديس بطرس الرسول** بعد حلول الروح القدس يوم الخمسين على الرسل، كما يُذكَر في نبوءة داود: «لأن داود يقول فيه: كنتُ أرى الربَّ أمامي في كلِّ حين، أنه عن يميني، لكي لا أتزعزع. لذلك سُرَّ قلبي وتهلَّل لساني، حتى جسدي أيضًا سيسكن على رجاء. لأنك لن تترك نفسي في الهاوية، ولا تَدَع قُدُّوسك يرى فسادًا» (أع ٢: ٢٥-٢٧). وقد نوَّه القديس بطرس الرسول في رسالته الأولى عن **نزول المسيح إلى الجحيم**، حيث ذَكَرَ، ليس فقط نزول المسيح إلى الجحيم، بل وأيضًا أنه «كَرَزَ للأرواح التي في السجن، إذ عَصَتْ قديمًا، حين كانت أناةُ الله تنتظر مرةً في أيام نوح، إذ كان الفُلْك يُبنَى، الذي فيه خَلَصَ قليلون، أي ثماني أنفس بالماء...» (١بط ٣: ١٨-٢١)، وذلك في مَعْرِض حديثه عن سرِّ المعمودية.

✝ وفي نفس الرسالة نقرأ عن الكرازة والتبشير للموتى الذين في الجحيم: «فإنه لأجل هذا بُشِّر الموتى أيضًا» (١بط ٤: ٦)، وكان يُشير بالأكثر إلى الذين ماتوا في الطوفان أيام نوح، والذين قال الله عنهم: «فنَدَم الرب أنه صنع الإنسان على الأرض، وتأسَّف في قلبه» (تك ٦: ٦). هؤلاء لم يهلكوا للأبد، بل نزل المسيح إليهم في الجحيم، مُعطيًا إيَّاهم الفرصة الثانية للخلاص، بالكرازة لهم ببشارة الخلاص، لعلَّهم يؤمنون، فيَحْيَون مع الأبرار إلى الأبد.

✝ والقديس بولس أيضًا يُشير إلى كيف أنَّ المسيح «نزل أيضًا أولًا إلى أقسام الأرض السُّفْلَى» (أف٤: ٩) منتصرًا على الموت والجحيم «ارجع إلى ١كو ١٥: ٥٤-٥٧؛ رو١٠: ٧؛ كو ٢: ١٤-١٥» ففيها إشارات إلى الهاوية التي أُصعِدَ منها المسيح، والرياسات والسلاطين الذين أَشْهَرَهُم جهارًا ظافرًا بهم في الصليب، وهو يقصد **إبليس** وكل جنوده حينما قهرهم بنزوله إليهم في الجحيم).

✝ والمسيح الذي قَهَرَ الجحيم، وألقى الشيطان والموت والجحيم في «بحيرة النار»، هو واحدٌ من الأحداث الأساسية التي وردت في سِفْر الرؤيا (٢٠: ١٠، ١٤): «وإبليس الذي كان يُضِلُّهم طُرِحَ في بُحيرة النار والكبريت... وطُرِحَ الموت والهاوية (الجحيم) في بُحيرة النار». وفي هذه المناظر الرؤيوية، يتكلَّم المسيح عن نفسه أنه هو: «الأوَّل والآخِر، والحيُّ وكنتُ ميتًا، وها أنا حيٌّ إلى أبد الآبدين، آمين. ولي

مفاتيح الهاوية والموت» (رؤ ١: ١٧،١٨).

✝ وهكذا نرى ونواجه في الإنجيل ثلاثة موضوعات أساسية للمسيحيين في القرن الأول ولكل الأجيال:

١. المسيح ينزل إلى الجحيم ويكرز ويُبشِّر لكل النفوس المحبوسة هناك، ليس فقط للأبرار، بل ولكل الخَطأة (وهذه هي البشارة).

٢. هناك علاقة سرائرية خفية بين نزول المسيح إلى الجحيم وبين سرِّ المعمودية المقدسة (التغطيس في مياه المعمودية، أي الدفن).

٣. المسيح بنزوله إلى الجحيم، أباد الجحيم والموت، مُعلِنًا انتصاره على الشيطان والشرِّ الذي في الخليقة (الإيمان والانتصار).

وما على البشر إلَّا الإيمان به وبموته على الصليب، وبقيامته المجيدة من بين الأموات، وبصعوده إلى السماء، وإرساله الروح القدس للمؤمنين كل «مَن آمن واعتمد»، وذلك لكي «يخلُص» من الخطيئة والموت والجحيم (مر١٦: ١٦).

﴿ نزول المسيح إلى الجحيم ﴾

في أناشيد الأجيال الأولى للمسيحية:

إنَّ أخبار نزول **المسيح** إلى **الجحيم** وانتصاره عليه وعلى **الموت**، كان موضوع اهتمام الكنيسة الأولى من جهة الأناشيد التي ألَّفها **الآباء الأوائل**، ومِن بينها اللحن الخاشع الجميل الذي نُرتِّله جميعًا ليلة عيد القيامة المجيد، وإلى عيد الصعود بعد أربعين يومًا من قيامة الرب: «المسيح قام من بين الأموات، ووطئ الموت بالموت، ووهب الحياة للذين في القبور» (ويُقصَد بـ «الذين في القبور»، أي الذين في **الجحيم**). وغالبًا تألَّف هذا اللحن في القرن الثاني للميلاد، لأنه عُثِرَ على أناشيد مُشابهة لهذا النشيد ترجع إلى القرن الثاني. وهذا النشيد يُعبِّر عن معنى لاهوتي، كان يُعلِّم به القديس إيرينيئوس أسقف مدينة ليون بفرنسا (حولي ١٣٥-٢٠٢م)، بأنَّ الذبيحة الكفَّارية التي قدَّمها المسيح، المُعتَبَر أنه «**آدم الثاني**»، كانت بمثابة «**استقطاب**» أي تركيز البشرية في **شخص آدم الثاني**، من أجل أن يُرجِع في نفسه كل الناس الذين أتوا من نسل آدم؛ وهكذا اجتاز المسيح كل مراحل الحياة الإنسانية، حتى يُصحِّح النتائج المترتبة على سقوط آدم في عصيان الله، وذلك لكل واحدٍ في البشرية يؤمن بالمسيح. وبصيرورة المسيح «بِكْر (أي أول) مَن قام من بين الأموات» (كو١: ١٨)، فقد جدَّد حياة البشر بحياته الإلهية، وهكذا صار: «بنفسه أول البشر الأحياء، مقابل آدم الذي كان أول البشر الموتى»، كما قال القديس إيرينيئوس (١).

وهكذا نُرتِّل في الكنيسة أنَّ موت المسيح قد صار انتصارًا على الموت، وقيامته فتحت باب الحياة والقيامة أمام الأموات. إنَّ التعليم بنزول المسيح إلى الجحيم قد تحوَّل إلى تراتيل ليتورجية في الكنيسة في نفس هذا المسار.

✝ وكل مؤلَّفات الأناشيد والتراتيل الليتورجية، سواء أتت قبل أو بعد هذه التواريخ المُبكِّرة، والتي أشرنا إليها من قبل، لابُدَّ أن تكون قد وُضِعَت لاستخدامها في الترتيل «على قيامة المسيح من بين الأموات»، ومن بينها مؤلَّفات **وعظات القديس ميليتون أسقف ساردس** (رَقَدَ سنة ١٨٠م). وساردس مدينة بقُرب الأناضول بآسيا الصغرى. وقد كُتِبَت هذه الترنيمة باللغة اليونانية القديمة في منتصف القرن الثاني، واكتُشِفَت عام ١٩٤٠م. ولكن قبل هذا التاريخ، كان هذا النص معروفًا في لغته الأصلية، كما في اللغات اللاتينية، والسريانية، والقبطية، والجيورجية، ضمن عظته على «القيامة» (٢). وهذه القصيدة الشعرية هي عظة فصحية أُلقيت قراءةً يوم الجمعة العظيمة بعد قراءة نبوءات العهد القديم على صَلْب المسيح. وهذه مقتطفات من هذه العظة:

﴿الرب، حينما اتَّخذ لنفسه شكل الإنسان...
قام من بين الأموات ونَطَقَ بهذه الصرخة:
«... أنا هو الذي أباد الموت،
وغَلَبَ العدو، ووطئ الجحيم،
وقيَّد الرجل القوي (الشيطان) (لو ١١: ٢١،٢٢)،
وانتزع منه الإنسان، ورفعه إلى أعالي السموات»؛
هكذا قال المسيح:
«أنا هو الذي أتى، إذن، لكل قبائل البشر المأسورين بالخطايا، وأعطاهم مغفرة الخطايا.
لأني أنا هو غفرانكم،
أنا هو «بصخة Pascha»
أي «المَعْبَر» إلى الخلاص،
أنا هو الحَمَلُ الذي يُسفَك دمه من أجلكم،
أنا هو فِدْيتكُم، أنا هو حياتكم،
أنا هو نوركم، أنا هو خلاصكم،
أنا هو قيامتكم من الموت، أنا هو مَلِكُكم،
أنا الذي سأُقيمكم بيميني،
أنا الذي سأقودكم إلى أعالي السموات؛
وهناك، سوف أُريكم الآب القديم الأيام والدهور﴾ (٣).

وهكذا يظهر من هذا النص أنه في القرن الثاني، كان ذِكْر **نزول المسيح إلى الجحيم** موضوعًا لا يتجزَّأ عن الخدمات الطقسية لعيد الفصح. كما يظهر أنه، في القرن الثاني، كان الترنيم الطقسي الكنسي الذي يُعبِّر عن ذبيحة المسيح الكفَّارية مُتاحًا لكل الشعب بدون استثناء. وبهذا كان يوضِّح أنَّ خلاص المسيح، ليس للأبرار، بل الغفران لجميع الذين لطَّخوا أنفسهم بالخطيئة.

والمسيح بعد أن أباد الموت، وقهر العدو (**الشيطان**)، وسَحَقَ الجحيم، وقيَّد إبليس؛ فإنه يدعو المؤمنين إلى نفسه، لكي يُنعِم عليهم بمغفرة خطاياهم، ثم ليقودهم إلى فوق، إلى الله أبيه وأبيهم.

وفي التقليد الآبائي، ابتداءً من القرن الرابع:

ونأتي الآن إلى العصر الآبائي، حيث بُنِيَ أساس العلم اللاهوتي. وهذه بعض النصوص الليتورجية على هذا الموضوع، والمحفوظة في الكنيسة الأرثوذكسية – بوجهٍ عام – . ولضيق المقام، سنقتصر على نصوص قليلة للآباء القدِّيسين، أعمدة الإيمان المسيحي المعروفين.

آباء الكنيسة في القرن الرابع

(العصر الذهبي لآباء الكنيسة):

وكل كاتب من هؤلاء الآباء الكبار عالَج، بطريقةٍ أو بأخرى، موضوع نزول المسيح إلى الجحيم. فقد أشار **القديس أثناسيوس الكبير رئيس أساقفة الإسكندرية** في مجادلاته مع **الآريوسيين**، عدَّة مرات، عن لاهوت ابن الله مع تأكيده في نفس الوقت على الوحدة الكائنة بين الآب والابن. ومن أجل هذا الغرض يكتب القديس أثناسيوس: «الربُّ – على الصليب – لم يُفارقه الآب... وليس من الشَّرْع أن يُقال إنَّ الرب كان مرعوبًا، في الوقت الذي كان حُرَّاس أبواب الجحيم (الشياطين) مرتعدين من مجيء المسيح إليهم؛ ففتحوا أبواب الجحيم، والقبور تشقَّقت، وكثير من أجساد القدِّيسين قامت وظهروا لبني جنسهم» (٤). وفي موضعٍ آخر يتكلَّم القديس أثناسيوس عن **أنَّ الله** «افتدانا كلنا، أو بالحري (افتدى) كل جنس البشر من الموت، وأخرجهم إلى أعلى، من القبور» (٥).

النفس البشرية الخاصة بالمسيح هي التي نزلت إلى الجحيم، بينما الجسد كان في القبر:

وفي وثيقة منسوبة للقديس أثناسيوس موجَّهة إلى تعاليم **أبوليناريوس**، الذي كان يُنكر وجود النفس في جسد المسيح، يقول: «إنَّ لاهوت المسيح، لا هو فارَق جسد المسيح وهو في القبر، ولا انفصل عن نفسه وهي في الجحيم... مملكة الموت تحطَّمت، والقيامة من الجحيم تحقَّقت، وبُشِّرت النفوس بواسطة النفس الخاصة بابن الله المتجسِّد؛ بينما الفساد تبدَّد، وعدم الفساد ظهر من القبر الذي دُفِنَ فيه المسيح» (٦).

✝ وفي عظة باسم: «النفس، والجسد، وآلام ربنا» (٧) منسوبة للقديس أثناسيوس (بالقبطية والسريانية)، يُقدِّم موضوع نزول المسيح إلى «**شيئول**» (أي «**الجحيم**» باللغة العبرانية) مُعطَّرة بعِطْر التراتيل الليتورجية من الكنيسة القديمة، يقول فيها:

﴿ نور اليوم يُشِعُّ، بينما العالم يلفُّه الظلام، ظلام الليل الحالك السواد؛ كل هذه حدثت قبل أن يُغْمِض المسيح عينيه. لكن نوره عجَّل بقيامته داخل الـ «**الجحيم**» (**كولَسي** باليونانية ***Κόλαση***) . والـ «**كولَسي**» (أي الجحيم) اضطرب حينما نزل إليه الرب، ليس بالجسد بل بالنفس، لأن له السلطان على كل خليقة. فاستطاع أن يُبيده قبل أن تأتي ساعته المحتومة. لقد رشَّ دمه على الأرض، فحَفِظَ الأرضَ ومَن عليها.

وظلَّ جسده مُعلَّقًا على الصليب من أجل حِفظ عناصره، أمَّا روحه (نفسه البشرية) فقد نزلت إلى أسفل، إلى الـ «**كولَسي**» (أي الجحيم)؛ وهناك فكَّت أَسْر الذين هناك. لقد أفنى المسيح الـ «**كولَسي**» (أي الجحيم)، وصار بنفسه هو سيِّد كل ما فيه.

وجسده أقام الأموات الذين على الأرض، وروحه (نفسه البشرية) أطلقت سراح الذين كانوا في الـ «**كولَسي**» (أي الجحيم). لأنه في هذه الساعة التي مات فيها الرب وهو مُعلَّقٌ على الصليب، في نفس هذه الساعة، انفتح القبر، ورآه حُرَّاس الـ «**كولَسي**» (أي الجحيم)، وذهلوا خائفين وفرُّوا هاربين. واندفع المسيح فاتحًا الأبواب النُّحاسية، وكسَّر مزاليج الحديد، وأَخَذَ النفوس التي كانت في الـ «**كولَسي**» ونقلها إلى الله أبيه. وحينما كسَّر الرب الـ «**كولَسي**»، ظفر بالنصرة فوق الموت، ووضع العدو رَهن الاعتقال؛ والنفوس أَطلق سراحها من الـ «**كولَسي**»، أما الأجساد (أجساد القدِّيسين) فقد أقامها من القبور التي على الأرض﴾ (٨).

(يتبع)

(1) Irenaeus of Lyons, Against Heresies 3,30,3.

(2) ارجع إلى النص العلمي المُدقَّق critical للقديس ميليتون أسقف ساردس، تحت اسم: Sur la Pàque et fragments, Sources Chrétiens, 123 المنشور في باريس عام 1966م.

(3) عن عظة القيامة، المرجع السابق، ص 120،123.

(4) Against the Arians 3,54-56; Discourses on the Incarnation of the Word 20,4-5. وهذه مجرد أمثلة.

(5) Festal le Hers 10,10 (PG 26: 441a).

(6) On the Incarnation of our Lord Jesus Christ, (Against Apollinarius 1,14-15 (PG 26: 1156-1157a

(7) The Coptic text and the English translation is found in the Coptic Homilies in the dialect of Upper Egypt, edited from the Papyrus Codex Oriental 5001 in the British Museum by E. A. Budge (London, 1910).

(8) Coptic Homilies in the Dialect of Upper Egypt, pp. 271-272.

من اقوال القديس مكاريوس الكبير

القديس مكاريوس الكبير

«مكتوب يا ابني: أني لا أسُرّ بموت الخاطئ بل أن يرجع ويحيا، فارجع إذًا يا ابني وسترى شخص ربنا يسوع المسيح المملوء فرحًا بخصوصك، مثل مُرضعة يفيض الفرح من وجهها بالنسبة لطفلها إذا رفع يديه ووجهه نحوها، وهكذا تمامًا إذا امتلأ من كل قذارة فهي لا تقرف من الرائحة ولا من البراز، ولكنها تشفق عليه وتضمه إلى صدرها ووجهها مملوء فرحًا، وكل شيء يحدث منه يكون حلوًا لها فإذا كانت – وهي المخلوقة – مملوءة شفقة نحو ابنها، فكم بالأكثر تكون قوة محبة الخالق ربنا يسوع المسيح نحونا؟ »

النار والقِدر الفخار

القديس سمعان اللاهوتي الحديث

الله نار، وجاء كَنارٍ، وقد ألقى نارًا على الأرض. هذا النار نفسه يطوف باحثًا عن مادة ملتهبة لكي يمسك فيها، يبحث عن طباع مستعدة وإرادة جاهزة، لكي ما يسقط عليها ويُشعلها. وفي أولئك الذين تشتعل بداخلهم، ترتفع إلى لهب عظيم، وتصل إلى السماوات، ولا تسمح للشخص المُشتعل بأي تأخير أو استراحة. والنار لا تشتعل في النفس المحترقة بشكل لا شعوري – كما في الموتى كما يتخيل البعض – فالنفس ليست مادة بلا حياة، لكنها تشتعل بإدراك حسي ومعرفة، وفي البداية بأ لم لا يطاق، نظرًا لأن النفس تشعر وتتفهم.

بعد ذلك، بعد أن تكون قد طَهَّرتنا بالكامل من **قذارة الأهواء**، تصير طعامًا وشرابًا، وتصير نورًا وفرحًا بلا توقف في داخلنا، ومن خلال الإشتراك تجعلنا نورًا نحن أنفسنا. هذا الأمر يمكن تشبيهه **بالقِدر الفخار عندما توضع على النار**. في باديء الأمر، تَسْوَدُّ القِدر بعض الشيء من جراء دخان الوقود المحترق، لكن بعد أن يبدأ الوقود في التوهج بشدة، تصير القِدر كلها متوهجة ومثل النار نفسها، ولا يمكن للدخان أن ينقل أيًّا من سواده إليه. هكذا أيضًا، تفعل النفس عندما تبدأ بالاحتراق **بالشوق الإلهي**، ترى أولًا وقبل كل شيء عتمة الأهواء بداخلها، تتصاعد مثل دخان في نار الروح القدس. ترى في ذاتها – كما في مرآة – السواد الذي يُرافق الدخان، وتفجع وتنوح. وتشعر بالأفكار الشريرة مثل الأشواك، وتصوراتها السابقة، التي تذوي وتستنفدُ مثل مادة جافة تحترق بالنار، ويتم آختزالها بالكامل إلى رماد.

بعد أن تستنفدُ تمامًا هذه الأشياء، ويبقى جوهر النفس فقط، تمامًا بلا أهواء، عندئذ تُوَحَّد النار الإلهية غير المادية ذاتها بالنفس بشكل جوهري، فتشتعل مباشرة وتصير متوهجة شفافة، وتشترك فيه، مثل قِدر الفخار التي تتوهج بالنار المرئية. هكذا أيضًا يكون الأمر مع الجسد، إذ يصير أيضًا نارًا من خلال **الاشتراك في النور الإلهي الفائق الوصف**.

هذا لن نختبره أبدًا، **ما لم نبغض العالم وكل ما فيه**، وما لم **ننكر أنفسنا ذاتها** ونضيِّعها بحسب قول الرب، فتلك النار لن تُضرم فينا بأي وسيلة أخرى. أولئك الذين تقبَّلوها لم يتحرَّروا فقط من كل أمراض النفس بالكامل، بل شَفَوا أيضًا كثيرين من الذين كانوا مرضى وعاجزين روحيًا، مُخْتَطِفِينَ إيَّاهم من **مخالب الشيطان**، وآتين بهم **للسيِّد المسيح** كهدايا. هؤلاء الناس، إذ تم إرشادهم بحكمة بكل علم وكل فن بواسطة تلك النار الإلهية، صاروا بإسلوب حياتهم وفي كل جوانب حياتهم مصدر فرح ومسرة لقلب الله. هكذا كان **بطرس الرسول القديس**، الذي تَسَلَّمَ مفاتيح الملكوت، وهكذا كان **بولس الرسول** الذي صعد للسماء الثالثة، وهكذا كان كل **الرسل القديسين** بالتعاقب. هكذا أيضًا كان **أباؤنا ومعلمونا القديسون حاملو الله**، والذين بواسطة هذه النار الإلهية جعلوا **البِدَعَ** تختفي، والذين أخضعوا **الشياطين** وجعلوهم مثل عبيد عاجزين بلا أي قوة، والذين أحبوا الله كثيرًا جدًا حتى أنهم لم يبخلوا بنفوسهم ذاتها من أجله.

هؤلاء القديسون – والكثيرون أمثالهم – يقال عنهم أنهم خدموا الله ويخدمونه إلى الأبد، أما أولئك الذين مازالوا خاضعين للخطيئة لا يخدمونه، بل بدلًا من ذلك يمكن تشبيههم بالعبيد الأردياء المتمردين على سيِّدهم. فأولئك الذين مازالوا مضطربين بالأهواء يشبهون أناسًا في حالة حرب بشكل مستمر، مثل أناس يتصارعون أو يقاومون الأعداء. أولئك الذين لم يكتسبوا الفضائل بعد، لكنهم يكافحون لاكتسابها، يشبهون أناسًا أجسادهم مشوهة، أو مثل الفقراء الذين يفتقرون لضرورات الحياة، ولذلك هم يحتاجون إلى الأطراف الصحيحة والمتطلبات التي تنقصهم، وبالتالي لا يستطيعون أن يزودوا الآخرين بما يحتاجونه هم أنفسهم، ولا يقدرونَ على الخدمة بدون أجر.

بحسب كلمة الرسول، نحتاج أن نحصل حالًا على كل فضيلة لكي نُحقق الإنسان الكامل الذي بحسب الله، أي الإنسان الذي لا يفتقر إلى أي فضيلة، وأن نحصل على نعمة الروح من الملك السماوي، مثلما يحصل الجنود على حصصهم من الإمبراطور الدنيوي. وبعد ذلك، بعد أن نصير هكذا أناسًا كاملين، وقد ارتفعنا إلى قياس قامة ملء المسيح، وتم تسجيل اسمائنا مع جنوده وخدامه، سوف نقوم بحملة ضد أعدائنا المعادين لنا. يقول القديس بولس الرسول: «من تجنَّد قط بنفقة نفسه» (١كو٩)، ماذا تعني كلمة «نفقة»؟ تعني الحصَّة أو الطعام الملكي. لأنه إذا كنا لا نتسلَّم أيضًا من الله هذا الخبز النازل من السماء الذي يعطي حياة للعالم أي نعمة الروح – فهذا هو الطعام الملكي الذي يتغذى عليه أولئك الذين يتجندون مع المسيح، والذي به يكتسون روحيًا بدلًا من الأسلحة – فكيف يمكننا إذن أن نتقدم مع جيش الله؟ وكيف يمكننا أن نُصَنَّف من بين خدامه؟!

هلموا إذن نستيقظ، ونسعى للهروب من **عبودية الأهواء**، ونركض نحو **المسيح، السيد الحقيقي**، حتى نستحق الحصول على لقب «**خدامه**»، ولنجاهد أيضًا حتى نصبح على مثال هؤلاء القديسين الذين ذكرناهم قبلًا. ليتنا لا نزدري بخلاصنا، ولا نخدع أنفسنا ونقدم

أعذارًا لذنوبنا قائلين: «أنه أمر مستحيل بالنسبة لإنسان يعيش في هذا الجيل الحاضر، أن يصير قديسًا»، **ويجب ألَّا نتفلسف بكلام ضد خلاصنا الخاص، ولا نتجادل ضد صالح أرواحنا ذاتها. لأنه حقًا شيء يمكن تحقيقه، إذا أردنا ذلك، إذ أن إرادتنا الحرَّة وحدها، يمكنها أن تحملنا نحو هذا الارتفاع. لأنه حيثما تكون هناك إرادة مستعدة لا شيء يمكن إعاقتها، كما يقول القديس باسيليوس الكبير.**

الله يريد أن يجعل منّا نحن البشر آلهة، لكن فقط بموافقتنا، وليس بطريقة غير إرادية،

فهل ننسحب هكذا رافضين إحسانه؟

ما أصعب هذه الغباوة، ألَا يُحسب هذا التصرف جنونًا وحماقةً شديدة؟

ابتغى الله هذا الأمر جدًا، لدرجة أنه جاء إلينا – دون أن يغادر حضن أبيه المبارك – من أجل هذا السبب، وهبط ونزل إلى الأرض. لذلك، إذا كنا نحن أيضًا نرغب فيه ونريده، لا يوجد شيء يمكنه إعاقتنا بأية حال. فقط لنشرع في تقديم التوبه لله بِغِيرَةِ قَلْبٍ، وهو من جانبه سوف يوقد مصابيح أرواحنا بٱقترابه منّا، وَلَمْسِهِ لقلبونا بأصبعه النقيِّ، ولن يسمح للنار بالإخماد والانطفاء إلى ٱنقضاء الدهر وإلى مدى الحياة الأبدية، الذي له المجد والكرامة والعبادة الآن وكل أوان وإلى إنقضاء الدهر. آمين.

ثامار أبَّر مني

القديس أمبروسيوس

« ١ وَأَخَذَ يَهُوذَا زَوْجَةً لِعِيرٍ بِكْرِهِ اسْمُهَا ثَامَارُ. ٧وَكَانَ عِيرٌ بِكْرُ يَهُوذَا شِرِّيرًا فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، فَأَمَاتَهُ الرَّبُّ. ٨فَقَالَ يَهُوذَا لأُونَانَ: «ادْخُلْ عَلَى امْرَأَةِ أَخِيكَ وَتَزَوَّجْ بِهَا، وَأَقِمْ نَسْلاً لأَخِيكَ». ٩فَعَلِمَ أُونَانُ أَنَّ النَّسْلَ لاَ يَكُونُ لَهُ، فَكَانَ إِذْ دَخَلَ عَلَى امْرَأَةِ أَخِيهِ أَنَّهُ أَفْسَدَ عَلَى الأَرْضِ، لِكَيْ لاَ يُعْطِيَ نَسْلاً لأَخِيهِ. ١٠فَقَبُحَ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ مَا فَعَلَهُ، فَأَمَاتَهُ أَيْضًا. ١١فَقَالَ يَهُوذَا لِثَامَارَ كَنَّتِهِ: «اقْعُدِي أَرْمَلَةً فِي بَيْتِ أَبِيكِ حَتَّى يَكْبُرَ شِيلَةُ ابْنِي». لأَنَّهُ قَالَ: «لَعَلَّهُ يَمُوتُ هُوَ أَيْضًا كَأَخَوَيْهِ». فَمَضَتْ ثَامَارُ وَقَعَدَتْ فِي بَيْتِ أَبِيهَا .

١٢وَلَمَّا طَالَ الزَّمَانُ مَاتَتِ ابْنَةُ شُوعٍ امْرَأَةُ يَهُوذَا. ثُمَّ تَعَزَّى يَهُوذَا فَصَعِدَ إِلَى جُزَّازِ غَنَمِهِ إِلَى تِمْنَةَ، هُوَ وَحِيرَةُ صَاحِبُهُ الْعَدُلاَّمِيُّ. ١٣ فَأُخْبِرَتْ ثَامَارُ وَقِيلَ لَهَا: «هُوَذَا حَمُوكِ صَاعِدٌ إِلَى تِمْنَةَ لِيَجُزَّ غَنَمَهُ».

١٤فَخَلَعَتْ عَنْهَا ثِيَابَ تَرَمُّلِهَا، وَتَغَطَّتْ بِبُرْقُعٍ وَتَلَفَّفَتْ، وَجَلَسَتْ فِي مَدْخَلِ عَيْنَايِمَ الَّتِي عَلَى طَرِيقِ تِمْنَةَ، لأَنَّهَا رَأَتْ أَنَّ شِيلَةَ قَدْ كَبُرَ وَهِيَ لَمْ تُعْطَ لَهُ زَوْجَةً. ١٥فَنَظَرَهَا يَهُوذَا وَحَسِبَهَا زَانِيَةً، لأَنَّهَا كَانَتْ قَدْ غَطَّتْ وَجْهَهَا. ١٦فَمَالَ إِلَيْهَا عَلَى الطَّرِيقِ وَقَالَ: «هَاتِي أَدْخُلْ عَلَيْكِ». لأَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهَا كَنَّتُهُ. فَقَالَتْ: «مَاذَا تُعْطِينِي لِكَيْ تَدْخُلَ عَلَيَّ؟» ١٧فَقَالَ: «إِنِّي أُرْسِلُ جَدْيَ مِعْزَى مِنَ الْغَنَمِ». فَقَالَتْ: «هَلْ تُعْطِينِي رَهْنًا حَتَّى تُرْسِلَهُ؟». ١٨فَقَالَ: «مَا الرَّهْنُ الَّذِي أُعْطِيكِ؟» فَقَالَتْ: «خَاتِمُكَ وَعِصَابَتُكَ وَعَصَاكَ الَّتِي فِي يَدِكَ». فَأَعْطَاهَا وَدَخَلَ عَلَيْهَا، فَحَبِلَتْ مِنْهُ. ١٩ثُمَّ قَامَتْ وَمَضَتْ وَخَلَعَتْ عَنْهَا بُرْقُعَهَا وَلَبِسَتْ ثِيَابَ تَرَمُّلِهَا .

٢٠فَأَرْسَلَ يَهُوذَا جَدْيَ الْمِعْزَى بِيَدِ صَاحِبِهِ الْعَدُلاَّمِيِّ لِيَأْخُذَ الرَّهْنَ مِنْ يَدِ الْمَرْأَةِ، فَلَمْ يَجِدْهَا. ٢١فَسَأَلَ أَهْلَ مَكَانِهَا قَائِلاً: «أَيْنَ الزَّانِيَةُ الَّتِي كَانَتْ فِي عَيْنَايِمَ عَلَى الطَّرِيقِ؟» فَقَالُوا: «لَمْ تَكُنْ ههُنَا زَانِيَةٌ». ٢٢فَرَجَعَ إِلَى يَهُوذَا وَقَالَ: «لَمْ أَجِدْهَا. وَأَهْلُ الْمَكَانِ أَيْضًا قَالُوا: لَمْ تَكُنْ ههُنَا زَانِيَةٌ». ٢٣فَقَالَ يَهُوذَا: «لِتَأْخُذْ لِنَفْسِهَا، لِئَلاَّ نَصِيرَ إِهَانَةً. إِنِّي قَدْ أَرْسَلْتُ هذَا الْجَدْيَ وَأَنْتَ لَمْ تَجِدْهَا ».

٢٤وَلَمَّا كَانَ نَحْوُ ثَلاَثَةِ أَشْهُرٍ، أُخْبِرَ يَهُوذَا وَقِيلَ لَهُ: «قَدْ زَنَتْ ثَامَارُ كَنَّتُكَ، وَهَا هِيَ حُبْلَى أَيْضًا مِنَ الزِّنَا». فَقَالَ يَهُوذَا: «أَخْرِجُوهَا فَتُحْرَقَ». ٢٥أَمَّا هِيَ فَلَمَّا أُخْرِجَتْ أَرْسَلَتْ إِلَى حَمِيهَا قَائِلَةً: «مِنَ الرَّجُلِ الَّذِي هذِهِ لَهُ أَنَا حُبْلَى!» وَقَالَتْ: «حَقِّقْ لِمَنِ الْخَاتِمُ وَالْعِصَابَةُ وَالْعَصَا هذِهِ». ٢٦فَتَحَقَّقَهَا يَهُوذَا وَقَالَ: «هِيَ أَبَرُّ مِنِّي، لأَنِّي لَمْ أُعْطِهَا لِشِيلَةَ ابْنِي». فَلَمْ يَعُدْ يَعْرِفُهَا أَيْضًا ». (تك٣٨: ٦-٢٦).

مناجاة القديس أمبروسيوس أُسقف ميلان

أيها **الرب يسوع**، ليتك تمنحني هذه العطيّة، أن تأتي إلى قبري هذا، لكي تغسلني بدموعك، حيث إنني بسبب جفاف عيني، لا أملك مثل هذه الدموع حتى يمكنني أن أغسل خطاياي. فإن أنت بكيت من أجلي فسوف أَخْلُص، فلو كنتُ مستحقًا لدموعك، فإني سوف أتطهر من نتانة كل خطاياي، لو كنت مستحقًا أن تبكي قليلًا من

أجلي، فإنك سوف تناديني من **قبر هذا الجسد**، وستقول لي: «هلم خارجًا» (انظر قيامة لعازر)، لكي لا تبقى أفكاري حبيسة داخل الحدود الضيقة التي لهذا **الجسد**، بل تتقدم إلى المسيح، وتسير في النور، لكي لا أعود أفكر فيما بعد في أفكار الظلمة بل في أعمال النور. لأن الذي يفكر في الخطايا إنما يغلق على نفسه داخل أفكاره.

نادِ، إذًا ،على خادمك، ورغم أنَّني مُقَيَّدٌ بقيود خطاياي، وقدماي ويداي مربوطتان، إذ أنني مدفون الآن في الأفكار والأعمال الميتة، إلَّا أنه عندما تناديني فسأخرج حُرًا، وأكون واحدًا من الجالسين على مائدتك، وسوف يمتلئ بيتك من رائحة الطيب.

القديس أمبروسيوس أُسقف ميلان

فإن منحت لأيِّ واحدٍ أن تفتديه، فأنك سوف تحفظه. لأنه سيقال: «أنظروا إنه لم ينشأ في أحضان الكنيسة، ولا تدرب فيها منذ الطفولة، بل انتقل بسرعة من مقعد القضاء، مُقبلًا من أباطيل هذا العالم، مُعتادًا على أغاني الجوقة بدلًا من صراخ الباكي، ولكنه مستمر في الكهنوت ليس بقوته الذاتية بل بنعمة المسيح، ويجلس مع المدعوين على المائدة السمائية».

(الجدير بالذكر أن القديس أمبروسيوس لم ينشأ في الكنيسة، بل كان حاكمًا لمدينة ميلانو، واختاره الشعب بالاجماع ليكون أسقفًا للمدينة)

أيها الرب، أحفظ عملك، وأحرس العطيَّة التي وهبتها لذاك الذي خاف أن يقبلها، لأني عرفت أنني لم أكن مستحقًا أن أصير أُسقفًا، لأني قد كرَّست نفسي لهذا العالم، ولكن بنعمتك أنا ما أنا. وأنا في الواقع أقل من كل الأساقفة وأدناهم في الجدارة، ولكن حيث إنَّني قد تعبت بعض التعب لأجل كنيستك المقدسة، فأحرس يارب هذه الثمرة، ولا تَدَعْ ذاك الذي دعوته للكهنوت حينما كان هالكًا أن يهلك وهو كاهن.

وأمنحني أولًا أن أعرف كيف أنوح مع الذين يخطئون بأعمق عاطفة، فإن هذه فضيلة عظيمة، حيث أنه مكتوب: «لا تشمت ببني يهوذا يوم هلاكهم، ولا تتكلم عليهم بكبرياء يوم ضيقتهم» (عو١٢). **أمنحني أنني عندما أعرف أي واحد قد سقط في خطيئة، أن أتألم معه، ولا أوبخه بكبرياء، بل أبكي وأنوح، حتى حينما أبكي لأجل آخر، فإني أبكي لأجل نفسي، قائلًا**: «ثامار أبَّر مني» (تك ٣٨).

ربما تكون فتاة عذراء قد سقطت، مخدوعة باندفاع بواسطة تلك الأحداث التي هي مصادر الخطايا. أمَّا نحن الأكبر سنًا فإنَّنا نُخطئ أيضًا. فإن ناموس هذا الجسد يحارب فينا ضد ناموس ذِهْنِنَا، ويجعلنا أسرى للخطية، حتى أننا نفعل ما لسنا نريده (رو ٧). إن حداثة سنها عُذْرٌ لها، أما أنا فليس لي عذر. هي يجب أن تَتَعَلَّم أما نحن فعلينا أن نُعَلِّم. وهكذا فإن «ثامار أبَّر مني».

نحن قد نُهاجم بشدَّة جشع إنسان ما، دعونا نتذكر إن كنا نحن أيضًا قد فعلنا أي شيء بدافع الطمع. وإن كنا قد فعلنا ذلك، حيث أن الطمع (**محبة المال**) هو أصل كل الشرور، ويعمل في أجسادنا سرًا مثل **حيَّة تحت الأرض**، إذًا فليقل كل واحد منا «ثامار أبَّر مني».

إن كُنا قد ثُرنا بشدَّة ضِدَّ أي إنسان، ربما يتصرف العلماني بعجالة بخصوص أمر بسيط أكثر من الأسقف. ليتنا نفكر في أنفسنا ونقول: «هذا الذي يُوبَخ بسبب حدة الطبع هو أبّر مني». لأنه إذا تكلمنا هكذا، فإننا نحفظ أنفسنا من هذا: أن يقول لنا **الرب يسوع** أو واحد من التلاميذ: « لماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك، وأما الخشبة التي في عينيك فلا تفطن إليها .. يا مرائي، أَخْرِجْ أولًا الخشبة التي في عينك وحينئذ تبصر جيدًا أن تخرج القذى من عين أخيك» (مت ٧).

إذًا، فلا ينبغي أن نخجل من القول بإن خطأنا أكبر من خطأ ذاك الذي نظن أننا ينبغي أن نُوَبِّخَهُ، لأن هذا هو ما فعله **يهوذا الذي أنَّبَ ثامار**، وعندما تذكر خطيئته الشخصية قال: «ثامار أبَّر مني». في هذا القول هناك سِرٌّ عميق وتعليم أخلاقي، لذلك لم تحسب خطيئه عليه، لأنه حكم على نفسه قبل أن يُحكم عليه من الآخرين.

إذًا فلا ينبغي أن نبتهج بخطيئة أي أحد، بل بالحري لنبكِ من أجله، لأنه مكتوب: «لا تشمتي يا عدوتي، لأني إذا سقطت أقوم. إذا جلست في الظلمة فالرب نور لي. أحتمل غضب الرب لأني أخطأت إليه حتى يقيم دعواي ويجري حقي. سيخرجني إلى النور، سأنظر بره. وترى عدوتي فيغطيها الخزي، القائلة لي أين هو الرب إلهك؟ عيناي ستنظران إليها الآن تصير للدوس كطين الأزقة» (ميخا ٧). وهذا لأن الذي يفرح بسقوط آخر يفرح **بانتصار الشيطان**. دعنا بالحري نبكي حينما نسمع أن واحدًا من الذين **مات المسيح** لأجلهم قد **هلك**.

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

سوتوس
خوندروبولوس

✝ الفصل الحادي عشر ✝

وفي اليوم التالي فتح نكتاريوس عينيه فرأى في غرفته، بقرب الخزانة، صبيًا صغيرًا. إنّه قسطنطين أحد وَلَدَي مضيفه. فقال له بصوت خافت:

– سامحني يا صاحب السيِّادة، فقد أتيتُ إليكَ خفية عن أُمِّي.

– هذا أنتَ يا كُوستي؟ ماذا تُريد يا بُنيّ؟

– آه لا أعرف ... أنا أُحبّك، فأنتَ توحي إِلَيَّ بالكثير وتجتذبني. لا أعرف.

فردَّ نكتاريوس:

وأنا أيضًا أُحبك يا كوستي الصغير، أنا أيضًا أُحبك. لِيُقَوِّم الله إلهنا وسيِّدنا سُبُلك نحو الخير.

فقال الولد:

أريد أن أتعلَّم قراءة الكتاب المقدَّس لأستطيع أنا أيضًا أن أنطُق بكلمات إلهيّة، وأُرتِّل الطروباريات.

فابتسم نكتاريوس بمحبة وقال له:

– هذا متوقِّفٌ عليك.

فدُهِشَ الصبيّ وسأل:

–ماذا تعني؟

– في أي صفٍ أنتَ الآن؟

– في الصفّ الثاني الابتدائي.

– عظيمٌ، عليكَ أن تدرس دروسك باجتهاد واتقان، أن تُطيع والِدَيْكَ وتحب إخوَتَك ... وأن تُصَلِّي. عليكَ أن تُصَلِّي يا كوستي لإنَّ يسوع يهتم بكم أنتم الصغار بشكلٍ خاص. وهو يحبُّكم كثيرًا.

– أجل يا صاحب السيِّادة. أشكُرُكَ كثيرًا. وسأفعل كل ما تقوله، وسأُصَلِّي أيضًا من لأجلك.

– شُكرًا يا ولدي. أجل، صَلِّ لأجلي أنا أيضًا.

ومنذ ذلك الحين صارت نفساهما وكأنهما متَّحِدَتان، وأصبَحا صديقَيْنِ. لم يَكُن قسطنطين يُفَوِّت فرصة واحدة لملاقاة نكتاريوس وَطَرْح الأسئلة عليه والتعلُّم منه. كان يبدو أنَّ هذا الصبيّ يملك مزايا خُلُقيَّة كبيرة.

ثم حلَّ عيد الميلاد. ولأنَّ نكتاريوس يعرف جيّدًا رغبة الصبي، فقد طلب من والده أن يسمح له باصطحابه في جولته التبشيرية في **أمفيسا ودوموكو وأطلانتا**. فتسنَى لهما أن يتكلَّما طويلًا، وتعلَّم الصبيّ الكثير بما يخصّ كنوز الكنيسة ...

إلَّا أنَّ صحة نكتاريوس كانت تتراجع منذ ذلك الحادث الذي أُصيبَ فيه بالبرد وأُجبر على ملازمة الفراش **لعشرين يومًا**. فصار يتعب كثيرًا خلال تنقلاته. وغالبًا ما كان يُصاب بالدُوار وبارتفاع الحرارة. وفي ذلك الوقت كان أصدقاؤه في مصر يتابعون المساعي لإرساله إلى أثينا.

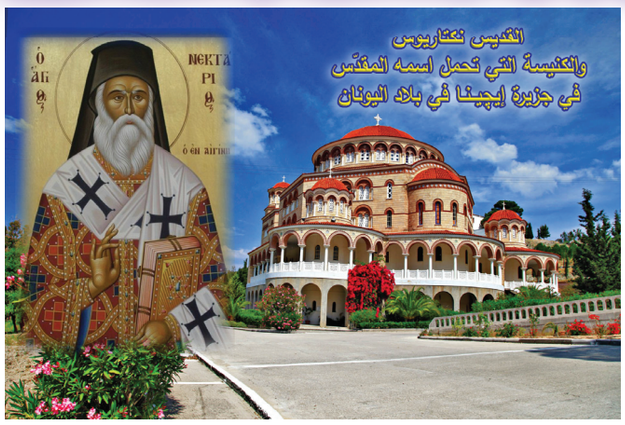

كما كانت تصله رسائل عديدة من الإسكندرية مُوَقَّعة بأسماء أشخاص لا يعرفهم، أو نَسِيَهُم. وكانوا يكتبون إليه عن الأمور نفسها تقريبًا: أنَّ صفرونيوس صارَ كَهلًا، وأنّه لا يقود الكنيسة شخصيًا، وأنَّ الجميع مُستاءٌ منه. وأنَّهم يفعلون كُل ما يلزم لكي يعتلي نكتاريوس عرش الإسكندريّة.

وينبغي أن نذكر أنّه تسلَّم مرّة رسالة من هناك، وكانت على درجة كبيرة من الجديّة. وكان كاتبها من أبرز الأعيان، وقد عُرِفَ في الوقت نفسه بأنّه مُحسِنٌ كبير لليونان. وإذ قرأ الرسالة ابتسم، وراح قلبه يخفق بشدّة ... وتذَكَّرَ الأيام الماضية وتأمَّل شؤون الكنيسة كافة، والحالة السياسية وما يجب عمله.

وكان الصبيّ قسطنطين إلى جانبه في ذلك الوقت، فسأله:

– ما رأيك يا كوستي إذا طُلِبَ مني السفَر إلى مصر، فهل تأتي معي؟

فَدُهِشَ الصبيّ وسأله:

–هل المكان بعيدٌ جدًّا ؟

– أجل، إنه ليس بقريبٍ من هنا. فيه أناسٌ آخرون ولهم عادات مختلفة عنّا.

فسَكتَ الصبيّ وبقيَ شارد الذهن لبعض الوقت، ثمَّ بدا كمن يُلقي نفسه بالماء، فرفع ذراعيه قائلًا:

– بَلى أذهب معك! ولكن عليكَ أن تُخبر والِدَيّ بالأمر هذا المساء. هل سنجد أولادًا هناك؟.

وتبع ذلك صمتٌ طويل ثم قال نكتاريوس أخيرًا:

اهدأ يا كوستي. في الحقيقة أعتقد أنهم لن يدعوني، إذ إنَّ هناكَ أشخاصًا آخرين يهمهم الأمر.

وعندها خَجِلَ الصبيّ، فهل خابت المغامرة؟ ثمّ صَرَخَ:

–سأذهب معك أينما ذهبت يا صاحب السيِّادة! أنتَ تعرف بأنّي أُحب الكهنة وأحترمهم. وأحب كُل الذين عرَّفتني بهم هنا في أطلانتا.

فأجاب نكتاريوس:

أجل يا ولدي، لقد لاحظتُ ذلك. وارجو أن تحافظ على هذا الشعور طوال حياتك.

الأرثوذكسيّة (٨١)
قانون إيمان لكل العصور

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

وبمعموديّة واحدة لمغفرة الخطايا

قد يُفاجئنا غير المؤمنين بسؤالٍ مغزاه: «**هل وجدتَ يسوع**» ليس من الأدب أو من المُفيد أن نتفكَّه بكلماتٍ لاذعة ونقول: «**لم أكُن أدري أنّ يسوع ضائع**» ومع ذلك فالسؤال خطأ من أوّله إلى آخره. نحنُ لم نَجِد يسوع، بل يسوع هو الذي وَجَدَنا، ومنذُ مدّة طويلة، مِن قَبل ما أن يكتمل إدراكنا لشخصه. إنَّ يسوع وَجَدَنا ودعانا خاصَّته. هذا هو المعنى لكل ما يحدُث لنا عندما نعتمد ونحنُ أطفال. طويلًا من قَبل أن نقدر أن نُحب الله كان هو قد أَحَبَّنا من خلال السِّر العظيم: **سرّ المعموديّة**.

محبّة الله السَّابقة والممتدة:

ظهرَت في مجلَّة قوميّة صورة فوتوغرافيّة تُبيِّن: «الدقائق الخمس الأولى الخطيرة للطفل». تُبيِّن الصُّورة يَدَ أُم وهي تمتدّ إلى وليدها. الصُّورة تُبيِّن محبّة الأُم وهي تحتضن وليدها. نفس هذا الأمر يحدُث في كُل مرّة يعتمد فيها طفل. إنَّ يد الله تمتد لِتَحتَضِنَ الطفل وتمنحه قُبلة المحبَّة. إنَّه حُبّ إلهي ذاك الذي يقف بجوار سِرِّ المعموديَّة.

لماذا يعتمد الأطفال:

لماذا يعتمد الطفل بينما هو لا يَعِي ما يَحدُث لهُ؟ لماذا لا ننتظر على الطفل حتى ينمو أوَّلًا، ويُؤمن بالمسيح ويَطلُب بنفسه العُمَّاد؟ إن اتَّبَعنا هذا الخطّ من المنطق، فنحنُ لن نُطَعِّم الطفل ضدّ الدفتيريا حتى ينمو ثم يسأل عن ذلك بنفسه، ولكننا لا نفعل ذلك لأننا نَعلَم أفضَل مِن الطفل.

إنَّ عُمَّاد الأطفال قبلَ أن يَعرفوا ما يحدث لهم هو تعبير عن محبّة الله الشدّيدة لنا. إنَّه تعبير يُرينا كم أنَّ الله يُحبُّنا ويَقبَلنا حتى وقَبلَ أن نعرفه أو نحبّه. إنَّه يُبيِّن أنَّنا شُغله الشَّاغل ومدعاة حبّه منذ لحظة ميلادنا.

لا شيء يُبيِّن طبيعة نعمة الله أكثر من معموديّة الأطفال. يكتب **ج. إس. ويل**: «إنَّ المعموديَّة تُعلِن أن المسيح صَنَعَ شيئًا لأجلي بدون أن يستشيرني أو ينتظر موافقتي، فإنَّه قَبلَ أن أُولَد أو أُفكِّر مات المسيح لأجلي وخلَّصني».

بعض طوائف المسيحيِّين مثل المعمدانيِّين يُجادلون ويُحاولون أن يُبرهنوا أنَّ المعموديّة الشرعيّة الوحيدة هي التي يمارسها الشخص البالغ المُؤمن، وأنَّه لا قيمة لمعموديَّة طفل لا حَوْلَ له، عُمره بضع أسابيع فقط، ولا يقدر أن يبرهن على إيمانه، وأنَّ هذا الأمر لا معنى له ولا منفعة منه.

نحنُ لا نقلِّل من أهميَّة الإيمان الشخصي للشخص البالغ الذي يريد المعموديّة، ولكنَّنا نُصَمِّم أيضًا على التأكد أنَّه فيما يخص المعموديّة، فإنَّ هذا الأمر لا يتعلَّق بماهِيَّةِ ما يفعله الطفل أو الوالدان أو الأشابين، ولكن بما يفعله الله. يقول رئيس الأساقفة تِمبلِي *Temple* : «إنَّ معموديّة الأطفال هي تعبير واضح عن حقيقة أنَّنا لا نُصَيِّر أنفُسنا مسيحيِّين. إنَّ حقيقة أننا مسيحيُّون لا يتعلَّق بأي عمل من جهتنا، ولكنه هو استحقاق عَمَلَ الله في المسيح بالروح القُدس لأجلنا».

إنَّ حصولنا على الجنسيّة والمواطنة للقُطْرِ الذي نُقيم فيه لا ينتظر منَّا أن نبلُغ النُضجَ والفهمَ والإدراكَ وقبولَ موافقة انتمائنا إلى هذا القُطْرِ. إنَّ الطفل الذي يولد في اليونان يُصبح للتوِّ يونانيًّا ويصير له جميع حقوق ومميّزات المواطنة منذ ميلاده دُونَ انتظار، هكذا بالمثل تمامًا **محبَّة الله** التي **تُقَدَّم** لنا عند عُمَّادِنا ونحنُ أطفال.

اعتاد شخص مسيحي أن يُعَزِّي نفسه في أوقات الشَّكِ والضِّيق بأنْ يكتب بحروفٍ كبيرة وبخطٍّ واضح عبارة: «**لقد اعتمدتُ**» وكان يقصُد بهذه العبارة أنَّ الله قَبِلَهُ وأنَّ حُبّ الله له لن يتغيَّر. إنَّني طفل الله وابنه ولا يُمكن لأي شيء أن يُغَيِّر هذه الحقيقة، إنَّه سوف يعتني بي، إنَّني مِلكه، إنَّني له، لا شيء يمكن أن يفصلني عن حُبِّه: «فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لاَ مَوْتَ وَلاَ حَيَاةَ، وَلاَ مَلاَئِكَةَ وَلاَ رُؤَسَاءَ وَلاَ قُوَّاتِ، وَلاَ أُمُورَ حَاضِرَةً وَلاَ مُسْتَقْبَلَةً، وَلاَ عُلْوَ وَلاَ عُمْقَ، وَلاَ خَلِيقَةً أُخْرَى، تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا.» (رو ٨: ٣٨-٣٩).

(إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته، نصير أيضًا بقيامته. إن كنا قد متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضًا معه) (رو٦: ٥، ٨)

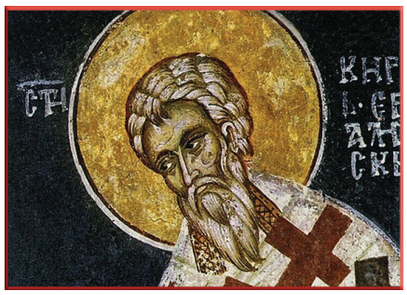

العظات الثماني عشرة لطالبي العماد

لأبينا القديس كيرلس رئيس أساقفة أورشليم

العظة السادسةَ عشرة «... وبالرّوح القدس، المعزّي، الناطق في الأنبياء»

٣٠- الروح في سِفْرَي أشعيا وحزقيال:

ويقول **أشعياء** بإسلوبه الرَّائع: «وَيَحُلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ، رُوحُ الْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ، رُوحُ الْمَشُورَةِ وَالْقُوَّةِ، رُوحُ الْمَعْرِفَةِ وَمَخَافَةِ الرَّبِّ.» (اشعيا ١١:٢). ليُظهر أنَّ الروح واحد لا يتجزّأ، ولكنّ أعماله متنوّعة. ويقول أيضًا: «هُوَذَا يعقوب عَبْدِي ... وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ .» (اشعيا ٤٢:١). وأيضًا: «أَسْكُبُ رُوحِي عَلَى نَسْلِكَ وَبَرَكَتِي عَلَى ذُرِّيَّتِكَ.» (اشعيا ٤٤:٣). وأيضًا: «وَالآنَ السَّيِّدُ الرَّبُّ أَرْسَلَنِي وَرُوحُهُ.» (اشعيا ٤٨:١٦). وفي موضِعٍ آخر: «أَمَّا أَنَا فَهذَا عَهْدِي مَعَهُمْ، قَالَ الرَّبُّ: رُوحِي الَّذِي عَلَيْكَ» (اشعيا ٥٩:٢١). وأيضًا: «رُوحُ السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّ الرَّبَّ مَسَحَنِي..» (اشعيا ٦١:١). وفي موضعٍ آخر، في الشهادات ضدّ اليهود: «وَلكِنَّهُمْ تَمَرَّدُوا وَأَحْزَنُوا رُوحَ قُدْسِهِ» (اشعيا ٦٣:١٠). و «أَيْنَ الَّذِي جَعَلَ فِي وَسَطِهِمْ رُوحَ قُدْسِهِ» (اشعيا ٦٣:١١).

ولديك عند **حزقيال** (اذا كنت لم تتعب من الاستماع) هذه العبارة التي ورد ذكرها: «وَحَلَّ عَلَيَّ رُوحُ الرَّبِّ وَقَالَ لِي: «قُلْ: هكَذَا قَالَ الرَّبُّ» (حز ١١:٥). وهذا التعبير: «وَحَلَّ عَلَيَّ» يجب أن نفهمه بمعنى ينطوي على المحبّة، كما لمّا التقى يعقوبُ بيوسف «وألقَى بنفسه على عُنُقِهِ» (تك ٤٦:٢٩). وكما في الإنجيل، عندما رأى الأب المُحِبّ ابنه عائدًا من سَفَرِه: «فأشفَقَ عليه وأسرَعَ إليه. فألقَى بنفسه على عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ طويلًا» (لو ١٥:٢٠).

وجاءَ في حزقيال كذلك: «وَحَمَلَنِي رُوحٌ وَجَاءَ بِي فِي الرُّؤْيَا بِرُوحِ اللهِ إِلَى أَرْضِ الْكَلْدَانِيِّينَ..» (حز٢٤:١١). وهناك شهادات أُخرى سمعتها في المواعظ عن العمّاد: «وَأَرُشُّ عَلَيْكُمْ مَاءً طَاهِرًا فَتُطَهَّرُونَ. مِنْ كُلِّ نَجَاسَتِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَصْنَامِكُمْ أُطَهِّرُكُمْ.وَأُعْطِيكُمْ قَلْبًا جَدِيدًا، وَأَجْعَلُ رُوحًا جَدِيدَةً فِي دَاخِلِكُمْ، وَأَنْزِعُ قَلْبَ الْحَجَرِ مِنْ لَحْمِكُمْ وَأُعْطِيكُمْ قَلْبَ لَحْمٍ.وَأَجْعَلُ رُوحِي فِي دَاخِلِكُمْ، وَأَجْعَلُكُمْ تَسْلُكُونَ فِي فَرَائِضِي، وَتَحْفَظُونَ أَحْكَامِي وَتَعْمَلُونَ بِهَا.» (حز ٣٦:٢٥-٢٧). وجاءَ أيضًا: «وَكَانَتْ عَلَيَّ يَدُ الرَّبِّ، فَأَخْرَجَنِي بِرُوحِ » (حز٣٧:١).

٣١- قوّة الروح كما ظهرت في سفر دانيال:

وهو الذي ملأ نفس **دانيال** حكمةً لكي يصبح هذا الشّاب الحدَث قاضِيَ الشيوخ. كان قد حُكِمَ على سوسنة العفيفة كزانية، ولم يكُن مَن يُدافع عنها، لأنه من يقدر أن ينتزعها من قبضة الحُكّام؟ فَسِيقَت إلى الموت، وكانت بين أيدي الراجمين. لكن المؤيِّد كان حاضرًا، المعزّي، الرُّوح الذي يُقدِّس كُل طبيعة عاقلة، إذ قال لدانيال:

هيَّا أيها الشّاب، وَبِّخ هذَين الشيخَين المريضَين على خطايا الشباب. لأنه مكتوب: «نبَّه الله روحًا مُقدَّسًا لشابٍ حَدَث» (دانيال ١٣:٤٥). ومختصر الكلام أُنقِذَت سوسنة العفيفة بحُكم دانيال. لقد نقلنا هذه الأشياء لِمَا فيها من الشهادات. ولكن الوقت يضيق بنا الشرح. واعترف نبوكدنصّر، هو كذلك، بأن الروح القُدُس كان في دانيال، إذ قال: « يا بلطشصّر رئيس السَّحرة ، إنّي أعرف أن روح الله القدوس فيك» (دانيال ٤:٦). لقد كان فيما قال شيء من الصحة وشيء من الخطأ: صحيح أن الرُّوح القُدُس كان معه، ولكنه لم يكن رئيس السحرة، لأنه لم يكن مجوسيًا، إذ كانت حكمته من الروح القدس. وكان قبل ذلك قد فسَّر له رؤية التمثال التي لم يكن قد فهمها، إذ قال له: «أخبرني برؤى حُلمي الذي رأيته وبتعبيره» (دانيال ٤:٦). هل ترى قدرة الروح القُدُس؟ إن الذين يَرَون لا يفهمون، والذين لم يروا يفهمون ويفسّرون.

٣٢- الدعوة الى استماع العظة المقبلة:

إنّه لَمِنَ السهل حقًّا أن نجمع شهادات كثيرة من العهد القديم، وان نُفَسِّرَ بإسهاب أكثر ما يخصّ الرُّوح القُدُس. ولكن الوقت قصير ويجب ألَّا نتجاوز الحدود مراعاة للمستمعين. ولذلك سنكتفي الآن بالشهادات المقتطفة من العهد القديم؛ وفيما بعد، إن شاء الله، سنأتي في العظة القادمة إلى الشهادات المستخرجة من العهد الجديد. ليمنحكم إله السلام جميعًا الخيرات الروحية والسماوية، بربنا يسوع المسيح ومحبة الروح القُدُس. له المجد والمُلك أبد الدهور. آمين.

«اجعلوا هذا الجسد الذي أنتم لابسونه **مَجْمَرَةً**، ترفعون فيها جميع أفكاركم ومشوراتكم الرديئة، وتضعونها **أمام الرب**، وتطلبون منه أن ينعم عليكم بإتيان ناره غير الهيولية من العلا إليكم، لتحرق كل ما في تلك المجمرة وَتُطَهِّرَهَا»

القديس أنطونيوس الكبير

الكبرياء هي السبب في كل الأهواء

القديس يوحنا السُّلَّمي